

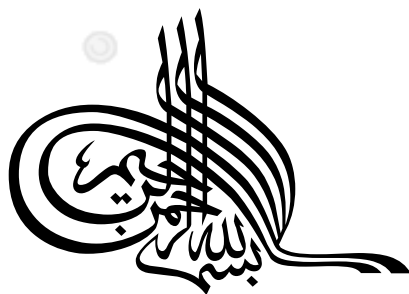


جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المرجعيات الثقافية في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي { ت ٥٩٧ هـ }

رسالة تقدمت بها الطالبة
دعاء فاضل ميري
الى مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية (الأدب)

إشراف
أ. د. صلاح حسون جبار



﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ

تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل الآية ٢٨

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة ((المرجعيات الثقافية في كتاب

أخبار الظراف والمتماجنين لأبن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)))

للطالبة ((دعاء فاضل ميري)) قد جرى بإشرافي في جامعة القادسية

كلية الآداب- قسم اللغة العربية، وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها/ أدب.


الإمضاء:

المشرف: أ. د. صلاح حسون جبار

التاريخ: / / ٢٠٢٥

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة:


الإمضاء:
رئيس قسم اللغة العربية
أ. د. هادي خضير الحمزة

التاريخ: / / ٢٠٢٥

إقرار لجنة مناقشة رسالة ماجستير



جامعة القادسية / كلية الآداب
الدراسات العليا

.....
 1. للجنة العربية..... أطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم إجرائها
 من قبل الطالب والتي تم إقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة شبه
 في وعليه وقعنا

ت	الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
١	ناهية ك - عبيد	هاشم		رئيساً
٢	د. رجاى عبد الحى محمد	استاذ مساعد		عضواً
٣	د. أحمد محمد إدريس	استاذ مساعد		عضواً
٤	د. صلاح حسون حيار	استاذ		عضواً ومشرفاً

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ. د. نبيل عمران موسى
العميد

2.20 / A/C

الإهداء

إلى من كلَّه الله بالهيبة والوقار.....

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..... أبي العزيز

إلى من تعجز كلمات الشكر أن تفيها حقها أمي الحنون

إلى من تحمّل وعاش معي خطوات مشواري..... زوجي

إلى أميرتي الصغيرة ابنتي تقوى

أهديكم ثمرة جهدي

الشكر والعرفان

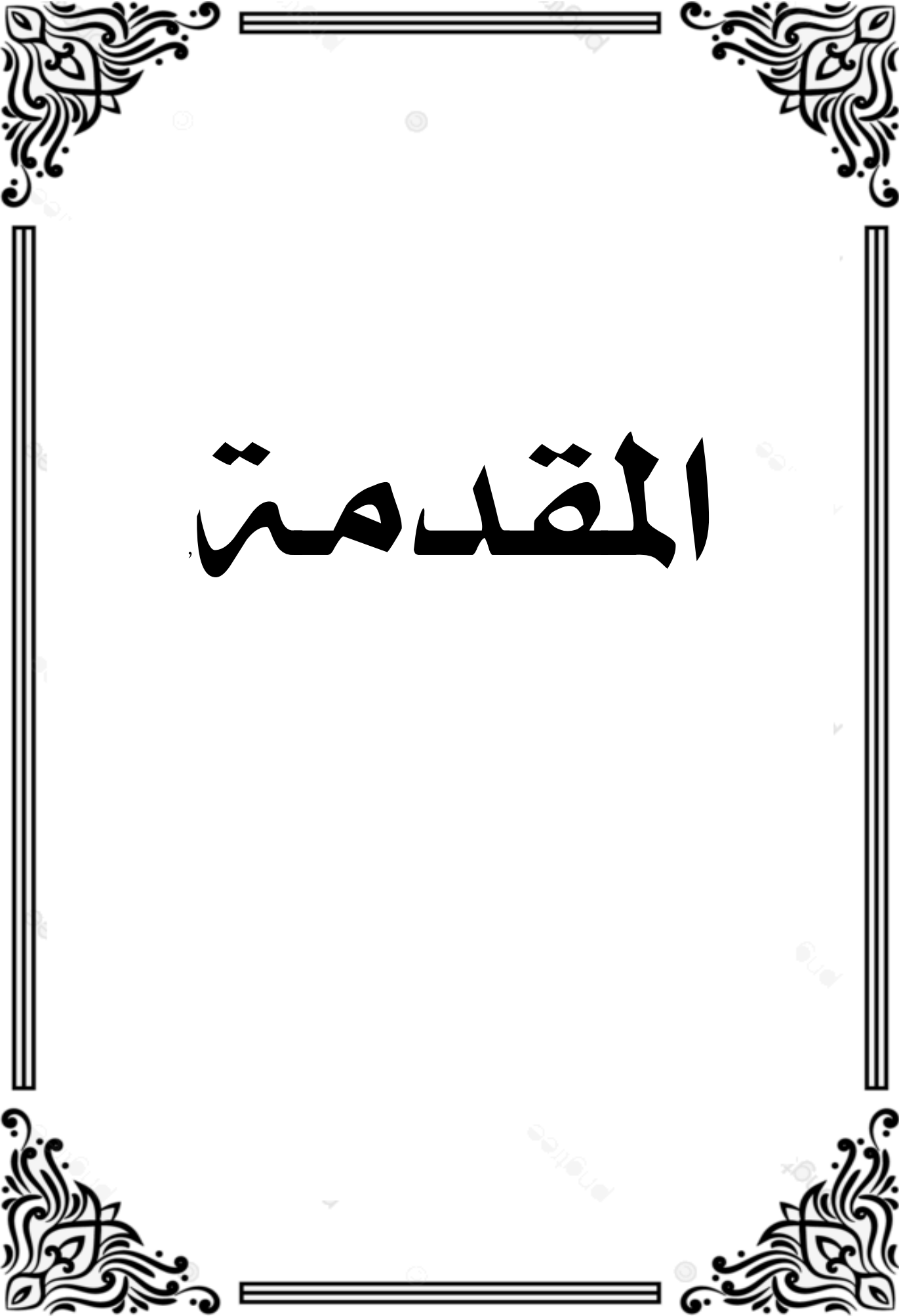
أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، وعظيم الامتنان إلى أستاذي
المشرف الأستاذ الدكتور صلاح حسون جبار ، فقد كانت توجيهاته
منارة أنارت دربي ودفعتنني الى تقديم أفضل ما لدي ، فشكراً له على
وقته الثمين ، وصبره اللامحدود وعلمه الذي سخره لإنجاز هذا العمل
، ليخرج إلى النور بهذا الشكل ، فله مني جزيل الشكر والعرفان، ولا
يفوتني أن أرفع خالص شكري الى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل على
تحملهم عناء القراءة ، والمساهمة في تقويم هذه الدراسة بجهودهم
العلمية الكريمة، ويتطلب واجب العرفان أن أسجل شكري وتقديري
الى أساتذتي جميعهم في قسم اللغة العربية، لما قدموه طوال سنوات
الدراسة من معارف وثقافة أضاءت مسيرة المشوار العلمي .

الباعثة

فهرس المحتويات

أ - ب	المقدمة
١٥ - ١	التمهيد (المرجعية الثقافية، سيرة ابن الجوزي، منهج الكتاب وقيمتة الادبية)
٧ - ١	أولاً : المرجعية الثقافية، المفهوم والقيمة الأدبية
١٢ - ٧	ثانياً : ملامح من سيرة أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
١٥ - ١٢	ثالثاً : كتاب (أخبار الظراف والمتماجنين) المنهج والقيمة الادبية
٦٠ - ١٦	الفصل الأول: المرجعية الدينية
٤١ - ١٦	- المبحث الأول: المرجعية القرآنية
٣٢ - ١٩	أولاً: الاقتباس القرآني
٤١ - ٣٢	ثانياً: القصص القرآني
٥٠ - ٤٢	- المبحث الثاني: المرجعية النبوية ((الأحاديث النبوية التشريعية))
٦٠ - ٥١	- المبحث الثالث: المرجعية الفقهية والعبادية
١٢٢ - ٦١	الفصل الثاني: المرجعية الأدبية
٩٧ - ٦١	- المبحث الأول: المرجعية النثرية
٧٢ - ٦٢	أولاً: الخبر
٨٦ - ٧٢	ثانياً: الحكاية

٩٧ - ٨٦	ثالثاً: الحكمة
١٢٢ - ٩٨	- المبحث الثاني: المرجعيّات الثانية للشعر
١٤٧- ١٢٣	الفصل الثالث: المرجعية التاريخية والاجتماعية
١٣٥ - ١٣٢	- المبحث الأول: المرجعية التاريخية
١٢٦ - ١٢٤	أولاً : الأحداث والوقائع التاريخية
١٣١ - ١٢٧	ثانياً: الشخصيات التاريخية
١٣٥ - ١٣١	ثالثاً: الأمكنة التاريخية
١٤٧- ١٣٦	- المبحث الثاني: المرجعية الاجتماعية
١٤١ - ١٣٦	أولاً: مرجعية الفكاهة والسخرية الاجتماعية
١٤٤ - ١٤٢	ثانياً: مرجعية النسق الأنثوي الاجتماعي
١٤٧ - ١٤٥	ثالثاً: مرجعية العادات والتقاليد الاجتماعية
١٤٩ - ١٤٨	الخاتمة
١٦٥- ١٥٠	المصادر والمراجع
A-B	الملخص باللغة الانكليزية



المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين و سيد المرسلين ابي القاسم

محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين أما بعد:

في ألق الادب العباسي تبرز صنوف الظُرف والطرائف بوصفها واحة من البهجة

والحكمة وقد بلغ كتاب ((أخبار الظُراف والمتماجنين)) لابن الجوزي صيته بين كتب

الظرافة بفضل أسلوبه الترفيهي ، والارشادي ، والمرح

لذلك سلطت هذه الدراسة الضوء على هذا الكتاب ، فهو . يعد من أجمل كتب

الفكاهة، فضلاً عن حب الباحثة للأدب العربي القديم، وشغفها باكتشاف ثقافات العصور

السابقة، فقد جاء العنوان (المرجعيات الثقافية في كتاب اخبار الظراف والمتماجنين) باقتراح

من الاستاذ المشرف الدكتور صلاح حسون جبار فله جزيل الشكر ، وقد تألفت الدراسة من

تمهيد، وثلاثة فصول وتلتها خاتمة تناولت في التمهيد مفهوم المرجعية الثقافية وقيمتها

الادبية، فضلاً عن ملامح من سيرة ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ومنهجية الكتاب،

وقيمته الأدبية .

اما الفصل الأول المتمثل بالمرجعية الدينية فجاء بثلاثة مباحث (المبحث الاول

المرجعية القرآنية ، والمبحث الثاني. المرجعية النبوية (الاحاديث النبوية التشريعية) ، واما

المبحث الثالث فجاء بعنوان المرجعية الفقهية والعبادية، والفصل الثاني الموسوم بعنوان

المرجعية الادبية جاء بمبحثين المبحث الأول / المرجعية النثرية فجاءت بثلاثة محاور
،الاول المرجعية الخبرية ،والثاني المرجعية الحكمية ،والثالث المرجعية الحكائية،، والمبحث
الثاني / المرجعيات الثانية للشعر .

والفصل الأخير من الدراسة (الفصل الثالث) والمعنون بالمرجعية التاريخية والاجتماعية ،
جاء بمبحثين أيضاً وهما المرجعية التاريخية ، والمرجعية الاجتماعية وختمت الدراسة بنتائج
توصلت اليها، وقائمة المصادر والمراجع ، وقد سارت الدراسة على المنهج الوصفي
التحليلي، الذي يربط بين النص وخلفياته المعرفية والثقافية، ويسعى الى تفكيك المرجعيات
المتنوعة التي استند اليها الكتاب .

يهدف البحث الى رصد أنواع المرجعيات الثقافية في كتاب (أخبار الظُراف
والمتماجنين) وتحليل وظائف هذه المرجعيات في تشكيل بنية النص الدلالية ، وتكمن
أهمية البحث من خلال ابراز الجانب الثقافي العميق في نص أدبي ينظر اليه غالباً على
انه ترفيهي فقط فضلاً عن توضيح كيفية توظيف المرجعيات الثقافية في بناء خطاب سردي
ساخر ،وأنتكأت الدراسة على مجموعة من المصادر أهمها (كتاب سير اعلام النبلاء، لسان
العرب ، وكتب الصحاح)

أما الدراسات السابقة لهذا الموضوع هي التخيل في شعر نازك الملائكة د. شيماء
محمد كاظم الزبيدي ، الفصل الأول المبحث الأول بعنوان المرجعية القرآنية ، المبحث
الثاني ، المرجعية الأدبية .

المرجعية معناها وأهميتها وأقسامها ، الغامدي سعيد بن ناصر - السعودية - مجلة

جامعة أم القرى ، ٢٠٠٩

مفهوم المرجعية وأشكالها تأويل النص الادبي ، محمد خرماش ، مجلة كلية الاداب

، ظهر المهر ازفاس ١٢٤

المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ،

حسين مجيد رستم ، دار السلام ، ط١ ، ٢٠١٤

مرجعيات بناء النص الروائي ، عبد الرحمن التمرة ، دار ورد عمان الأردن، ٢٠١٢

المرجعيات الثقافية في ديوان مهيار الديلمي ، أطروحة دكتوراه ، حسام هادي زوير

، جامعة البصرة ، ٢٠١٩

ومن الصعوبات التي واجهت بحثي هي التي لم أجد أي شروحات على هذا الكتاب

، إضافة الى قلة المصادر المتاحة على هذا الموضوع.

وليسعنا في النهاية إلا أن أتقدم بشكي وإمتناني الى أستاذي المشرف الفاضل (أ.د.

صلاح حسون جبار) لكل ما قدمه لنا في توجيهات ودعمه علمياً وفقه الله تعالى لكل خير،

وأن هذا ما قدمناه إن حدث فيه سهواً فما الكمال إلا لله عزوجل وأن أصبنا فهو المبتغى

والمراد وما توفيقني إلا بالله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

التمهيد

إضاءات في معنى المرجعية الثقافية،
والسيرة وأهميته كتاب ابن الجوزي

أولاً - المرجعية الثقافية، المفهوم والقيمة الأدبية .

١ - المَرْجِعُ لغةً

ورد لفظ (رَجَعَ) ومشتقاته اللغوية في الكلام العربي، فقد جاء في معجم (العين) قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) : ((رَجَعْتُ رَجُوعاً وَرَجَعْتُه : يَسْتَوِي فِيهِ اللَّازِمُ وَالْمَجَاوِزُ ، وَالرَّجْعَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، وَالتَّرْجِيعُ : تَقَارُبُ ضُرُوبِ الْحَرَكَاتِ فِي الصُّوْتِ ، وَالْمَرْجُوعَةُ : جَوَابُ الرِّسَالَةِ ، وَالرَّجْعَانُ مِنَ الْأَرْضِ مَا ارْتَدَّ فِيهِ مِنَ السَّيْلِ ثُمَّ نَفَذَ))^(١) .
فهذه المفردات التي وردت تدل على معنى العودة والرجوع .

وفي معجم (مختار الصحاح) للرازي (ت ٣١٣هـ) : ((رَجَعَ الشَّيْءُ بِنَفْسِهِ مِنْ بَابِ جَلَسَ وَ (رَجَعَهُ) غَيْرُهُ مِنْ بَابِ قَطَعَ ، وَالْمَرْجِعُ : الرَّجُوعُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٢) وهو شاذٌّ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ مِنْ (فَعَلَ يَفْعُلُ) إِنَّمَا تَكُونُ بِالْفَتْحِ)

قال ابن فارس ((الرء والجيم والعين أصلٌ كبيرٌ مُطَرَّدٌ ، يُدَلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكَرُّارٍ ، فِي الصَّوْتِ تَرْدٌ يَدُهُ))^(٣)

أما في كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((رَجَعَتِ الطَّيْرُ الْقَوَاطِعَ رَجَاعاً :لَهَا قِطَاعٌ وَرَجَاعٌ. مِنَ الْمَجَازِ : خَالَفَنِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ قَوْلِي وَصَرَمَنِي ثُمَّ رَجَعَ يَكَلِّمَنِي ، وَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فِي خُطْبٍ إِلَّا كَفَى ، وَلَيْسَ لِهَذَا الْبَيْعِ مَرْجُوعٌ أَيْ لَا يَرْجَعُ فِيهِ وَلَيْسَ لِي مِنْ فَلَانٍ رَجْعٌ أَيْ مَنْفَعَةٌ وَفَائِدَةٌ ،))^(٤)

ففي كلا الكتابين ينصرف معناهما إلى الفائدة والمنفعة والرجوع ايضاً.

وورد في (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١هـ) في مادة رجع : (رَجَعَ يَرْجِعُ رَجْعاً وَرَجُوعاً وَرُجْعَى وَرُجْعَاناً وَمَرْجِعاً وَمَرْجِعَةً : انصرفت) قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ

(١) .كتاب العين : الفراهيدي : ١ / ٢٢٧.

(٢) (سورة الانعام : الآية : ١٦٤)

(٣) (مقاييس اللغة : ابن فارس : ٤٢٢)

(٤) (أساس البلاغة: الزمخشري : ١ / ٣٤١.

صَالِحًا) ^(١)، بمعنى ردوني الى الدنيا يُقال : أَرْجَعُ اللهُ هَمَّهُ سروراً اي أَبْدَلْ هَمَّهُ سروراً ، وقوله تعالى: (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) ^(٢) ، فعند ابن منظور جاء المرجع مرتبطاً بمعنى المكان وبمعنى المعاودة ^(٣)، وفي (المعجم الوسيط) : ((المعنى اللغوي لكلمة تَرَجَعَ القومُ : رَجَعُوا الى مَحَلِّهِمْ ، والرياحُ الرَّوَّاجُ :المختلفةُ لمَجِيئِها و ذهابِها، و(الرَّاجِعُ) : المرأةُ التي تَرْجِعُ إلى أهلِها بَعْدَ وفاة زَوْجِها)) ^(٤) ، فالمرجعية لا تقتصر على تعريف محدد، وإنما تتدرج في العديد من المعارف والعلوم ، ونعني بها الرجوع الى الجذور المعرفية بشتى آفاقها العلمية والثقافية.

٢- المَرْجِعُ اصطلاحاً :

لم يقف مفهوم المرجع على اتجاه معرفي معين ، بل هو شامل لكل المفاهيم الثقافية الادبية فهو يمثل المجال الذي يستمد منه المؤلف معلوماته ، ويقوم بتحليل الصورة الأدبية ايضاً ، فقد ورد التعريف به اصطلاحاً في مختلف المعجمات ومنها (المعجم المفصل) : فقد عرّفه صاحب المعجم بقوله : (هو كل كتاب لم يكتبه مؤلفه ثم نشر في وقت لاحق فهو مرجع ، أي الكتاب الذي اخذ معلومات من مصدر سابق له من الناحية الزمنية في حل قضية ما عند دراستها وتحليلها) ^(٥) ، فالمراجع الادبية تعتمد على المصادر عند التوثيق العلمي وتقديم الافكار في العمل الأدبي .

وفي معجم المصطلحات الاساس : (العلاقة المرجعية بين العناصر ، فوجود العنصر في اللغة ليس اعتباطاً بل هو محدد من طرف العناصر التي سبقته او تلك التي ستلحق به وتعد العناصر الاخرى المحددة لوظيفة هذا العنصر بمثابة مرجع له) والعنصر بمعنى

(١) سورة المؤمنون : الآية (٩٩ - ١٠٠) .

(٢) سورة العلق : الآية (٨) .

(٣) لسان العرب : ابن منظور : مادة (رجع) : ٨ / ١١٤ .

(٤) المعجم الوسيط : ابراهيم أنيس : ٣٣١ .

(٥) المعجم المفصل في الادب : محمد التونجي : ٧٨٢/١ .

(الكلمة أو العبارة) ^(١)، وهناك من يرى أنَّ المرجعية مرادفة لمصطلح الاحالة ^(٢)، فهي علامة أو إشارة الى جملة صغيرة أو لفظة سابقة أو لاحقة وهي نفس وظيفة الاحالة فالمرجعية والاحالة كلاهما يستندان الى مصادر خارجية وهذا ما جعلهما متقاربين .

والمرجعية هي : ((الاطار الكلي والاساس المنهجي، المستند الى مصادر وادلة معينة لتكوين معرفةٍ أو ادراك ما يبنى عليه قول أو اتجاه يمثل في الواقع علماً أو عملاً)) ^(٣) ويرى سعيد علوش أنَّ المرجعية (هي علاقة بين العلامة وما تشير اليه) ^(٤)، والمرجع : المصادر الاساسية التي تحتوي على انواع المعارف او صنف خاص منها متبع فيها ترتيباً محدداً لتسهيل البحث فيها ، مثل كتب اللسانيات التي تدرس الكلمات ومعانيها ^(٥)، فالمرجعية إذاً : هي كل ما يعد منبعاً ثقافياً لكل ما يتم التعبير عنه شفاهاً أو كتابةً ، او كل ما يمكن اعتباره مصدراً ثقافياً أو فكرياً لما يقال او يُكتب .

وهناك مصطلحات مرادفة للمرجع هي (الاقتباس ، التضمن ، التناص) فالإقتباس : هو (الآخذ والاستفادة) ^(٦) ويسمى ايضاً بالتضمن الذي عرفه ابن الجوزية في قوله ((وهو ان يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي اتى به أو ترتيب فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمن ، وان كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو إيداع)) ^(٧) وأما التناص فهو ((يعني أن يتضمن نص ادبي أما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمن أو التلميح...)) ^(٨)

(١) ينظر المصطلحات الاساسية : خليل احمد خليل : ١٣٥.

(٢) ينظر : علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم : ٤٣/١.

(٣) المرجعية معناها واهميتها وأقسامها : سعيد بن ناصر الغامدي : مجلة جامعة ام القرى ، العدد ٥٠ ، ٣٨٢

(٤) معجم المصطلحات العربية : سعيد علوش : ٩٧.

(٥) ينظر : معجم المصطلحات العربية في الادب : مجدي وهبه كامل المهندس : ٣٥١.

(٦) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : احمد مطلوب : ٢٧٠/

(٧) الفوائد: ابن القيم / ١١٧

(٨) التناص نظرياً وتطبيقاً : احمد الزعبي : ١١

٣ - الثقافة لغة :

لقد ورد لفظ (ثقّف) في كلام العرب والثقافة اختلفت معانيها في المعاجم بحسب سياق تكوينها وتوظيفها في سياق الخطاب وقصدية المتكلم وفي (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس التاء والقاف والفاء كلمة واحدة اليها يرجع الفروع وهو إقامة درء الشئ ويقال : (ثقّفَتِ الْقَنَاهُ اِقْمْتُ عَوَجَهَا ، وَتَثَقَّفْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ ، قال عدي بن الرقاع: (البحر الكامل) نَظَرَ الْمُثَقَّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَةً مُنَادَهَا (١) (٢)

المتقف في البيت الشعري كان القصد منه الرمح الذي يعد له صاحبه .

وقد ورد في معجم (مختار الصحاح) للرازي في مادة ثَقَّفَ : (ثقّف الرجلُ من بابٍ ظرف : صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقَّفٌ مثل ضَحْمٌ ، والثقافُ ما تُسوى به الرِّمَاحُ) (٣) . أما في (لسان العرب) فوردت كلمة (ثقّف) بعدة معانٍ منها : الفهمُ والحذقُ ، والظفرُ ، مثل ثَقَّفَ الرَّجُلُ أي صارَ خفيفاً ، ووردت ايضاً بمعنى الخِصامِ والجلادِ (٤) ، وفي (المعجم الوسيط) : (ثَقَّفَ الشَّيْءُ : اقامَ الْمُعْجَجَ مِنْهُ وَسِوَاهُ ، وَثَاقِفَةٌ ، مَثَاقِفَةٌ ، وَثِقَافاً : خَاصِمَهُ وَجَالَدَهُ بِالسَّلَاحِ ، وفي التنزيل الحكيم: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَّفْتُمُوهُمْ) (٥) ، أي ابصرْتُم مَقَاتِلَتَهُمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ(٦)

وفي ضوء ما سبق يتجلى لنا ان كلمة الثقافة قد وردت بمعان عديدة في المعجمات منها : الاداة التي يقومون بها الرماح وجاءت بمعنى الادراك والفتنة والبصيرة والعلوم المكتسبة ، إذ إنها كلمة مستعملة على نطاق واسع على إنها اعراف وتقاليده المجتمع ، لذلك اختلف الباحثون في تعريفها بحسب توظيفها في سياقها اللغوي ومقام الخطاب.

(١)ديوان عدي بن الرقاع العالمي : ٣

(٢) معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس بن زكريا : ٣٨٣.

(٣) مختار الصحاح : محمد بن يحيى الرازي : ٣٨.

(٤) لسان العرب : مادة (ثقّف) : ٤٩٢/١.

(٥) سورة البقرة :الاية (١٩١).

(٦) المعجم الوسيط : ابراهيم انيس : ٩٨.

٤ - الثقافة اصطلاحاً :

يعد مصطلح الثقافة من المصطلحات واسعة المعنى ولها استعمالات متعددة في مختلف العلوم الانسانية والفلسفية والاجتماعية واتضحت في تعريفات عدة ، منها تعريف الدكتور سعيد علوش فقد عرفها في قوله : ((خبر يجمع ويحافظ عليه وتتناقله المجتمعات الانسانية))^(١) ، والثقافة تحسين الفكر وتنمية الذوق في المجالات الفنية والادبية ، أو هي مجموعه من السمات الخلقية والقيم الاجتماعية ، التي تؤثر على الشخص منذ ولادته وتصبح علاقة واعية بين سلوكه واسلوب الحياة في البيئة التي ولد فيها^(٢) ، إذاً الثقافة تمثل البيئة التي تؤثر على اسلوب الشخص او اسلوب مجتمع معين وتظهر لنا مدى درجة التحضر في ذلك المجتمع. والثقافة : ((انها الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة والايمان والفن والأخلاق والقانون والعادات فضلاً عن اية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في المجتمع))^(٣) ويعرفها البوت : ((جميع المناشط والاهتمامات المميزة لشعب ما))^(٤) ويعرفها ادور تايلور بأنها : ((ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والاخلاقيات والقوانين والأعراف والقدرات الأخرى ، وعادات الانسان المكتسبة بوصفه عضواً في المجتمع))^(٥)

ويرى حسين صديق : انها مجموعة من البيانات التي تميل الى الظهور بشكل منظم فيما بينها ، لتشكل مجموعة من النظم المعرفية الاجتماعية التي تنظم حياة الافراد ضمن مجموعه تنقسم الزمان والمكان مع بعضها بعضاً وقد قسم الثقافة الى قسمين :

القسم الاول : الثقافة التي يحصل عليها الفرد عن طريق القراءة والسماع ، أما القسم الثاني : فكل ما يحصل عليه الانسان من المحيط الذي يعيش فيه منذ طفولته من قوانين

(١) معجم المصطلحات الأدبية الحديثة : ٥٧.

(٢) ينظر : مشكلة الثقافة : مالك بن نبي : ٧٤.

(٣) تأويل الثقافات غيرتز /كليفور / ترجمة محمد بدوي /بيرت ٢٠٠٩ / ٨

(٤) ملاحظات حول تعريف الثقافة / البوت / ترجمة شكري محمد عياد ، ٤٥

(٥) الدراسات الثقافية ، زيودن ساردار ، ٨

وتقاليد واعراف ولغة ^(١)، فيتبين لنا من ذلك ان الثقافة تلعب دوراً مهماً في المجتمع فهي تقوم بتحديد تفاعلات أفراده مع العالم الخارجي.

وقد صنّف الدكتور نعمان السامرائي الثقافة الى صنفين أيضاً ، صنف الثقافة العليا ، وصنف الثقافة الشعبية ووضع لكل منهما سمات ، فالعليا ((لا تكتسب عن طريق المعاشة اليومية أو الانتماء للجماعة وإنما تتطلب نوعاً من التدريب ، مثل القراءة والحوار والممارسة والصنف الاخر هي الثقافة التي لا تتم بالوعي ويحصل عليها الفرد من حياته اليومية ، واختلاطه بأفراد مجتمعه ، وتتم ببسر وسهولة))^(٢) ، اذاً الثقافة تمثل النشاطات الفكرية التي تقوم بها ، أو هي الاعراف والتقاليد التي تعكس اسلوب حضارة ما ، وبذلك تكون تكاتفاً بين الفرد والمجتمع.

٥- المرجعية الثقافية :

يجب على الباحث قبل البدء بعملية البحث أن يجمع أسساً معرفية وفكرية يعتمد عليها في توجيه خطابه ، وهذا متمثل بالمرجعية الثقافية ، فالمرجعية الثقافية هي الحصيلة العلمية والفكرية والمعرفية التي يقوم عليها الخطاب الادبي وهذه المعرفة تكشف لنا عن ثقافة شعب من الشعوب وعاداتهم واعرافهم ^(٣) ، ويرى (بشير ابريز) بأنها المعرفة الواسعة التي يحصل عليها الفرد من الجماعات المختلفة ^(٤) ، و((تُعد المرجعية القاعدة الاساس لكل اتصال وتواصل : فهي التي تحدد العلاقة بين الملفوظ والمرجع أي مجموع الاليات التي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من الحقيقة غير اللغوية))^(٥) ، فالمرجعية الثقافية تُعد ثروة علمية متنوعة في جميع العلوم يوظفها الكاتب في كتاباته حتى تكون اكثر ايهاماً وصلابة.

(١) ينظر الانسان والسلطة (اشكالية العلاقة واصولها الاشكالية) : حسين صديق : ١ / ١٨ .

(٢) الثقافة ، القيم ، المجتمع : د . نعمان عبدالرزاق السامرائي : ٦٩ .

(٣) ينظر: المرجعية الثقافية بين المفهوم والتوظيف د . حكيمة سبيعي : ٧.

(٤) ينظر: مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث : بشير ابريز : ٥٩٨.

(٥) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب : ذهبية حمو الحاج : ١٠٤.

٦ - القيمة الادبية للمرجعية الثقافية

يعد استحضار المرجعيات الثقافية من ضروريات العمل الادبي لأنها تحمي التراث الادبي من خلال تكراره في النصوص الأدبية الحديثة وتعزز الأدب بمفاهيم تعكس الثقافة لدى شعب من الشعوب ، ((يمكن للمرجعيات الثقافية ان تتداخل فيحدث ذلك مزيداً من متعه الاكتشافات المتتالية لكنه ايضا يشكل صعوبة كبيرة في قراءة الأعمال الادبية وفهمها وفي هذه الحالة تكون قيمة نصية أي انها قيمة جمالية قبل كل شي لكنها في نهاية التحليل قد تتكشف عن ابعاد فكرية او اجتماعية في المرجعية الاصل))^(١).

إذاً اعتماد المرجعيات الثقافية في النص يكسب النص قيمه معنوية وجمالية من ناحية ومن ناحية اخرى تسلط استحضارها الضوء على مجموعة من الابعاد الانسانية والفكرية .

ثانيا : ملامح من سيرة ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

١ - اسمه ونسبه :

لقد اوردت كتب التراجم اسم ابن الجوزي ونسبه، ف قيل أبو الفرج الشيخ ^(٢)، الواعظ ^(٣) ، ((عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن احمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن الفقيه بن محمد بن ابي بكر القرشي الحنبلي))^(٤) ، والجوزي منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة ، وقال الجوهرى : فرضة النهر ثلمته التي يستقي منها ، وفرضة البحر مَحَطَّ السُّنْ ، والجمعُ : فَرَائِضُ ^(٥) ، وأُطلق عليه عبد الرحمن

(٢) المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي ، محمد خرماش ، مجلة الشارخ حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٣٨ ، اصدار ١٩٩٥ : ٩٢ .

(٢) البداية والنهاية : ١٦ / ١٧٠٦ .

(٣) الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل الصفدي : ١٨ / ٢١٨٦ .

(٤) سير اعلام النبلاء : الذهبي : ٢١ / ٣٦٥ .

(٤) ينظر مرآة الزمان في تواريخ الاعيان : سبط ابن الجوزي : ٢٢ / ٤٩٣ .

الصفار ، لاشتغال اهله في تجارة النحاس ^(١) ، ويُعدّ ابن الجوزي احد الموسوعيين البارزين الذين تركوا لنا اثراً كبيراً في مختلف العلوم والمعارف التي قدمت للدارسين والباحثين فائدة كبيرة بأختصاصاتهم المتنوعة .

٢- مولده :

ذكرت لنا أمّات الكتب مولد عبد الرحمن بن الجوزي فقالت : كان هناك خلاف على زمن ولادته بين المؤرخين فقليل على وجه التقريب في السنة الثامنة وخمسمائة او عشر وخمسمائة وقبل غير ذلك ^(٢) ، وقال ابن النجار في تاريخ بغداد (كان ابو الفرج بن الجوزي يقول : لا اتحقق مولدي غير أنّ والدي مات سنه اربع عشرة ، وقالت الوالدة كان لك من العمر ثلاث سنين)) ^(٣) ، واما عن مكان ولادته فكانت في مدينة بغداد في منطقة تسمى (درب حبيب) شرق بغداد التي كانت تزهر بالعلماء ^(٤).

لقد ولد ابن الجوزي في موطن العلماء والادباء والثقافة والتطور في عاصمة الدولة العباسية ، التي كانت تزخر بالعلماء الامر الذي كان له اثر في حياة ابن الجوزي ونشأته فكرياً ، فأصبح مولده يمثل بداية لرحلة علمية مؤثرة في التاريخ العربي الاسلامي والتراث العلمي الموشح بروافد ثقافية متنوعة ينهل منها الباحثون في صُعدِ شتى .

٣- نشأته وحياته :

• نشأته وحياته

تناولت المصادر التاريخية حياة ابن الجوزي ونشأته فقالت :نشأ عبدالرحمن بن الجوزي يتيم الأب واهملته أمّه ولم يهتم احد لأمره سوى عمته وكان محباً للوعظ منذ صباه ^(٥) ، وتولت عمته تربيته وحثه على العلم والسماع من الشيوخ والعلماء في مدة مرافقته ،

(١) المصدر نفسه : ٥/٩٤.

(١) ينظر : وفيات الاعيان أبْن خلكان : ٣ / ١٤٢. ينظر : طبقات المفسرين : السيوطي : ٦١/١.

(٣) المصدر نفسه : ٣ / ١٤٢.

(٤) ينظر : مرآة الزمان : ٩٤/٢٢.

(٥) ينظر : سير اعلام النبلاء : ٣٦٧/٢١ .

وسمع منهم كثيراً وكان عددهم نيفاً وثمانين شيخاً أي من واحد وثمانين الى ثلاثة وثمانين شيخاً ^(١) ، فكان لعمته الفضل الكبير في نشأته نشأة علمية رسم من خلالها حياته وأفاد بها مجتمعه .

وقد ((حفظ ابن الجوزي الوعظ ، ووعظ وهو دون سن العشرين ، واخذ اللغة من أبي منصور الجواليقي ، وكان صيناً ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط احداً ، ولا يأكل مما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته الا للجمعة)) ^(٢) .

وقرأ الوعظ على الهروي ، وتفقّه على الدينوري ، وتخرج من الحديث بابن ناصر ، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي ^(٣) .

لم يقتصر ابن الجوزي بتعلّمه على علم واحد فقط بل كان موسوعياً لكل العلوم الدينية والأدبية بمختلف انواعها .

اثر ابن الجوزي في العلوم والمعارف بأنواع منها شتى فقد برز ابن الجوزي في العديد من الفنون والعلوم وتميز بغزارة انتاجه وكثرة مصنفاته حتى وُصفَ بالحافظ، وقيل إنه (جُمعت الكرايس التي كتبها وحسبت مدة عمره ، وقُسمت الكرايس على المدة ، فكان ما يخص كل يوم تسع كرايس ، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل) ^(٤) ، وكان ابن الجوزي حافظاً للقران وقارئاً لكثير من الروايات أي الكتب التي تروي قصصاً أو مواقف ، وشاعراً مجيداً له العديد من القصائد في عدد من المجلدات ^(٥) .

لقد اثرت شخصية ابن الجوزي والفاظه ، وحكمه ومؤلفاته في محيطه الاجتماعي، مما جعله سمة بارزة في التاريخ العربي الاسلامي بما فيه من علوم متنوعة في صرح التراث العربي وأثره في الثقافة والمعرفة.

(١) ينظر : مرآة الزمان : ٩٤/٢١ .

(٢) البداية والنهاية : ١٦ / ٧٠٨ .

(٣) ينظر: الوافي بالوافيات : ١٨٦/١٨ .

(٤) وفيات الاعيان: ٣ / ١٤١ .

(٥) ينظر : الذيل على طبقات الحنابلة :ابن رجب الحنبلي : ١ / ٤٠٥ - ٤٢٣ .

• تلاميذ ابن الجوزي وأساتذته

(سمع من أبي القاسم بن الحصين ، والبارع ، والدينوري والفقير ، والزاغوني والحيري ، وابن البناء) (١) وكان لابن الجوزي العديد من التلاميذ اخذوا العلم عنه ومنهم (حدث عنه ولده صاحب العلامة محي الدين يوسف استاذ دار المستعصم بالله ولده الكبير علي الناسخ ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب (مرآة الزمان) ، والحافظ عبدالغني ، والشيخ موفق الدين بن قدامة ، وابن الديبشي ، وابن النجار ، وابن الخليل ، والضياء ، واليلداني ، والنجيب الحراني ، وابن عبد الدائم ، وخلق سواهم) (٢) ، ولكثرة مصنفات عبدالرحمن بن الجوزي ومعرفته ادى الى تجمع العديد من الطلاب حوله وهم ينهلون من ثقافته الموسوعية وعلمه الواسع شتى المعارف والعلوم التي تجسد صداها في تلاميذه الذين تخرجوا من مدرسته العلمية وكذلك اثر تلك العلوم في خصب حقول العلم والمعرفة .

٤ - آثاره المعرفية

ألف عبدالرحمن بن الجوزي بحسب مائتشر المصادر حوالي اربعمئة مصدر بمختلف العلوم والفنون (٣) ، وتذكر بعضها على سبيل الاشارة :

❖ في القرآن وعلومه :

كتاب المغني (٤) ، والبيان في تفسير القرآن (٥) ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، ومختصر ناسخ القرآن ومنسوخه .

(١) سير اعلام النبلاء : ٣٦٦

(٢) المصدر نفسه ٣٦٧/٢١ .

(٣) اخبار الطراف والمتماجنين : ١٨٠ .

(٤) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة : عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي ١ / ٤٢٠ .

(٥) ينظر مؤلفات ابن الجوزي : عبد الحميد العلوجي : ٩ .

❖ في اللغة :

تذكرة الاديب ، الوجوه والنظائر^(١).

❖ وفي علم الحديث :

جامع المسانيد ، والحدائق ، والنزهة ، والتحقيق في احاديث التعليق ، المديح ، الاحاديث الواهية ، الناسخ والمنسوخ في الحديث^(٢) .

❖ وفي التاريخ

التلقيح ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، شذوذ العقود ، درة الاكليل ، المصباح المضيء^(٣) .

وألف كتباً عدة في الطب منها : لفظ المنافع المشيب والخضاب ، وطب الاشباح ، وفي الاشعار له : احكام الاشهار بأحكام الاشعار ، والمختار من الاشعار^(٤) ، وهذه النخبة من مؤلفاته تدل على بصيرته والمامه بجميع العلوم وعدم اقتصاره على علم منها ، وهذا ما يدل على سعة موسوعيته المعرفية وسعة علمه .

٥- وفاة ابن الجوزي

انتقل ابن الجوزي الى جوار ربّه في ليلة الجمعة، بين المغرب والعشاء^(٥)، في الثالث عشر من شهر رمضان، بعد مرض قيل انه تسبب بوفاته، ودام ذلك المرض لمدة خمسة ايام سنة سبع وتسعين وخمسائة^(٦)، وله من العمر (سبعة وثمانون سنة)^(٧) ، وقد دفن بباب حرب في بغداد^(٨) .

(١) ينظر : تذكر الحفاظ : محمد بن احمد الذهبي : ٤ / ١٣٢.

(٢) الوافي بالوفيات / ١٨ / ١٨٩

(٣) ينظر : الوافي بالوفيات : : ١٨ / ١٨٩.

(٤) ينظر : مرآة الزمان : ٢١ / ٩٨.

(٥) ينظر : شذرات الذهب في اخبار من ذهب : ابن العماد والحنبلي : ٤ / ٣٣١.

(٦) الوافي بالوفيات : ١٨ / ١٩١.

(٧) ينظر : الذيل على طبقات الحنابلة : ١ / ٤٢٨.

(٨) ينظر : وفيات الاعيان: ٣ / ١٤٢.

وقد حضر غسله الشيخ ضياء الدين بن سكينة وقيل ان في خبر موته غلقت الاسواق وكان في تموز وأفطر خلق كثير من صحبه ، ورموا بأنفسهم في خندق الطاهرية في الماء ، وحزن الناس حزناً شديداً عليه ، وباتوا عند قبره طوال شهر رمضان وقيل إنه أوصى أن يُكتب على قبره هذه الابيات : (مجزوء الرمل)

يا كثيرَ العَفْوِ عَمَّنْ كَثُرَ الذَنْبُ لَدِيهِ
جَاءَكَ الْمُذْنِبُ يَرْجُو الـ صَفَحَ عَنْ جُرْمِ بَدِيهِ
أنا ضيفٌ وجزاءُ الـ ضَيَّفَ احسانُ إِلَيْهِ (١)

وقال سبطه ابو المظفر (٢) : جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان (يقصد سبع وتسعين وخمسائة) تحت تربة ام الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي فانشد أبياتاً قطع عليها المجلس وهي من : (الكامل)

ثالثاً : كتاب (اخبار الظُّراف والمتماجنين) المنهج والقيمة الادبية

١ - منهج ابن الجوزي في كتابه

إنَّ ابن الجوزي كثير الاطلاع والتأليف وله منهج يسير عليه في مؤلفاته التي لها اهمية كبيرة في تنوير القلوب والعقول واهداف سامية احتوت عليها كتبه ، ومنها كتاب دراستنا هذا ، اعتمد ابن الجوزي في كتابه (أخبار الظُّراف المتماجنين) الذي سنتناوله بالدراسة ، على الفكاهاة والاحبار الساخرة وقد جمع ابن الجوزي في هذا الكتاب نوعين من الاخبار: (اخبار الظُّرف والظرفاء) والمقصود بهما الصفات الحميدة التي يتصف بها الشخص ، والمتمثلة بالمهارة واللباقة والفتنة وغيرها من الصفات (٣) ، ويتمثل ذلك في قوله : ((والظُّرف يكون في صباحة الوجه ، ورشاقة القدِّ ، ونظافة الجسم والثوب وبلاغة

(١) مرآة الزمان : ٢١ / ١١٦.

(٢) ينظر : ذيل طبقات الحنابلة : ١ / ٤١٤.

(٣) ينظر : اخبار الظراف والمتماجنين: ٤٢، وينظر الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس صلاح الدين المنجد: ١٤.

اللسان وعذوبة المنطق وطيب الرائحة والتقزز من الاقذار والافعال المستهجنة..))^(١) والنوع الاخر اخبار المجون والمتماجنين ، ومعنى المجون في اللغة : ((ألاَّ يبالي الانسان بما صَنَعَ))^(٢) . صرف اللفظ عن حقيقته الى معنى اخر ، وذلك يدل على قوة الفطنة))^(٣) ، اي انَّ المجون الذي يقصده ابن الجوزي في كتابه ليس العبث واللهو او عدم التقيد ، انما قوة الفطنة وقد اورد ابن الجوزي بعض الاخبار دون اسانيد وبدون مصادر في الكتاب لكننا نجد فيه حسن الترتيب والتبويب وتقسيم المادة بصورة جيدة ، ويقع الكتاب في مائة وثمان وخمسين صفحة قسمة المؤلف الى ثلاثة ابواب اعطى فصلاً عن معنى الظرف والمجنون^(٤) ، فكان الباب الاول في خمسة اقسام عنوانه فيما ذكر عن الرجال وأقسامه .

في ما يروى عن الانبياء {ﷺ} ، في ما يروى عن الصحابة ، في ما يروى عن العلماء والحكماء ، في ما يروى عن العرب ، في ما يروى عن العوام^(٥)

والباب الثاني (فيما ذكر عن النساء) وكان الباب الثالث ذا نصيب أقل من الكتاب وعنوانه (في ما ذكر عن الصبيان من ذلك)^(٦) ، واتبع المؤلف المنهج الاجتماعي التاريخي وهو الغالب عليه ، وكان يسرد فيه القصص والروايات عن ذكرهم في عناوين كتابه ، وأسلوب المؤلف كان أدبياً بحثاً وكان ينثر أحياناً ويورد الشعر أحياناً ثانية ، وابتعد المؤلف البعد كله عن التقييم وعن اعطاء حكم على كل شيء كالخطأ والصحيح وما شابه فقد كان يصف الظاهرة وصفاً فحسب ويذكر القصة دون اعطاء حكم ما على أحد التزاماً

(١) ينظر : اخبار الظراف والمتماجنين : ٤١

(٢) لسان العرب : مادة مجن : ١٣ / ٤٠٠

(٢) اخبار الظراف والمتماجنين ، ٤١ ، وينظر : شعراء الزهد والمجنون في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري : دراسة مقارنة تحليلية / د . حمدة مشارك الرويلي : جامعة الحدود الشمالية السعودية : مجلة بحوث كلية الاداب ، مجلد : ٣١ ، العدد ١٢٠ ، السنة : ٢٠٢٠ .

(٣) ينظر اخبار الظراف والمتماجنين : ٤١ .

(٥) المصدر نفسه : ٤٢ / ٤٥ .

(٦) المصدر نفسه : ٤١ .

منه بالوصف ، وكذلك ما كان يحلل ظاهرة أو قولاً إنما السرد والوصف هو الظاهرة في الكتاب كله .

٢ - القيمة الادبية للكتاب وأهميته في التراث العربي

لاشك في أن لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة تبين مكانة المؤلف وسعة اطلاعه ، ولأنه اجتهد في جمع كلام من سبقه ، الذي قدم فيه فائدة لمن جاء بعده فكتاب دراستنا هذا الموشح بالفكاهة التي لها أهمية كبيرة فهي من أكثر ألوان الأدب استهواء للناس ، لأنها تزيل من النفس الهم والقلق واليأس والحقد ، والتشاؤم ، والإحباط أي أن الفكاهة تقوم بوظيفية تطهيرية^١ كما أكد أبو حيان التوحيدي على تلك الوظيفة النفسية للفكاهة يقول (إياك أن تعاف سماع هذه الأشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السخف ، فانك لو اضربت عنها جملة تنقص فهمك ، وتبطل طبعك) (٢) ، ومن جهة أخرى الأسلوب في الكتاب المملوء بالفكاهة يكون نقداً لظواهر سلبية في المجتمع والمحاولة لإصلاحها بطريقة السخرية منها ، إذاً لهذا الكتاب أهمية على الصعيد النفسي للإنسان لأنه يسلي من يطالعه ويبعث في نفسه البهجة والسرور من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعرف هذا الكتاب من خلال أخباره بالظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر .

والقيمة الأدبية للكتاب تأتي من كونه وثيقة تاريخية اجتماعية لما كان يجري بين بعض الناس آنذاك ومنهم العلماء والحكماء وبعض صورة الحياة الاجتماعية، في الدولة العباسية، وهذا يعكس قيمة تاريخية أثرية للكتاب فهو من الأدب العربي الإسلامي التاريخي رفيع المستوى ، ولا سيما أنه قد صدر من بين يدي رجل حاذق معروف بالبراعة وقوة الأسلوب وكثير النظم في الشعر و السجع .

وكان المؤلف يذكر قصصاً واحداثاً وقعت مع الأصمعي وبعض ملوك فارس والصحابه ، وكان ينقل عن العلماء مثل المبرد و جالينوس والاعمش والادباء والشعراء

(١) ينظر الادب الفكاهي ، د. عبد العزيز شريف : ١٥

(٢) البصائر والذخائر، ابوالحيان التوحيدي، ١/٤٩ .

واللغويين كجبرير والاصمعي وغيرهم والكتاب صرح للنهضة الفكرية السائدة لسلف هذه الأمة ولهذه قيمة مضافة إليه، كما ان الكتاب لا يخلو من الفكاهة والسرور وهذا النوع من الكتب يغني المكتبة العربية التي يقل وجودها فيها لاسيما من الكتب التراثية في الادب القديم ، وقد جمع الكتاب بين الظرف والمجون والفصاحة والفكاهة واللفظ والطف والأخبار عن الحكمة من الانبياء والعلماء والحكماء وغيرهم ، لذلك يمكن عد هذا المصنف من المؤلفات الموسوعية من الكتب ، لا سيما أنه كان من الكتب التراثية في الادب القديم وقد جمع لما شمله من الآفاق المعرفية الأدبية واللغوية والتاريخية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية.

ومن خلال إحصائية الاخبار المجموعة في الكتاب وجدنا أنواعها وإعدادها ونسبها

تتمثل في الجدول أدناه :

ت	نوع الخبر	عدد مرات وروده	نسبته
١	خبر الفكاهة والسخرية	١٩٨	٥٠.٥١
٢	الخبر الديني	٦٨	١٧.٣٥
٣	الخبر الحكمي	٥٨	١٤.٧٩
٤	الخبر التاريخي	٥٧	١٤.٥٤
٥	الخبر المتضمن حكاية	١١	٢.٨١
	المجموع الكلي للاخبار	٣٩٢	%١٠٠

الفصل الأول

المرجعية الدينية

المبحث الأول /

المرجعية القرآنية.

المبحث الثاني /

المرجعية النبوية ((الاحاديث النبوية التشريعية))

المبحث الثالث /

المرجعية الفقهية والعبادية.

مرّخل:

عُرفَ ابن الجوزي بالوعظ والفقه، كما عُرفَ بالأسلوب الأدبي الرفيع، في شعره ونثره كالسجع الذي ألف فيه الكتب، نحو (كتاب التبصرة) والمدهش، ويُعدّ التراث الديني من أول وأهم المرجعيات في إنتاجه وتأليفه العلمي، ومن غير شك يمكن القول: إن ابن الجوزي قد وجد في القرآن الكريم خير وسيلة لممارسة تجاربه العلمية في التأليف والنظم، ويندرج الجانب الديني في ظل عدة مراتب يمثلها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والقرآن الكريم هو الذي يمثل السمة الأساس في الخطاب الديني، ومن ثم فالعودة إليه في خضم الإنتاج الشعري يعني إعطاء مصداقية مميزة لمعاني الخطاب الشعري المتنوع، وهذا انطلاق من مصداقية القرآن الكريم نفسه^(١).

ولطالما كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مقصد ابن الجوزي بوصفهما نصين مقدسين مؤثرين محفورين في ذهن ابن الجوزي والقارئ، وبهذا يستطيع ابن الجوزي العودة في نتاجه إلى فضاء واسع ورحب في الكتابة الأدبية والوعظية، وقد وجد الشاعر في الاتجاه الديني خير معادل موضوعي لما يحسه ويكابه ويمر به من تجارب، وليس ثمة من واسطة أكثر حضوراً وأشد عمقاً وتأثيراً ألصق بالذاكرة الجمعية من المورثات الدينية^(٢).

(١) ينظر: التعالق النصي في الخطاب الشعري، مقارنة نقدية، الدكتور يوسف اسماعيل، اتحاد الكتاب العرب، مجلة الاتحاد، العدد ٨٦، عام ٢٠٠٣ : ١٢ .

(٢) ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، علي عشري زايد، : ٢١ .

وقد قسّم ابنُ الجوزي كتابه على ثلاثة أبواب، تجلّت فيها المرجعيّات الدينيّة، لا سيّما

في الباب الأول الذي يتحدّث فيه عن أخبار الرجال، وهو على خمسة أقسام:

١. ما يُروى عن الأنبياء عليهم السلام.

٢. ما يُروى عن الصحابة.

٣. ما يُروى عن العلماء والحكماء.

٤. ما يُروى عن العرب.

٥. ما يُروى عن العوام

البحث الأول / المرجعية القرآنية

للمرجعية الثقافية الدينية أثر كبير على الشخصية الإنسانية، فهي تؤثر بشكل ملحوظ في صنع ثقافة الفرد، وذلك لأن الدين ((الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالدين توأم الإنسان وأقدم الموجودات البشرية، وحياة الإنسان من غير دين ومن دون التسليم لأمر متعالٍ وسامٍ لا معنى لها، فجوهر الدين مقدس متعالٍ، ولو جُرد الدين من القداسة والسمو لخرج عن كونه ديناً))^(١)، ممّا يجعل ذلك من الدين أمراً محتتماً في حياة الفرد المسلم.

والنص القرآني منبع مهم ، يقتبس منه الكتاب في أعمالهم، فضلاً عن اتصاله بجميع جوانب الحياة أجمعها ، أي: هو من العناصر الأساس في الحياة العلمية^(٢).

وللقرآن الكريم ذلك الأثر البالغ في نتاجات ابن الجوزي، فالقرآن الكريم كان أكثر من مرجعية ثقافية للكاتب ، بل إن نصوصه بما فيها أخبار الأطراف كانت متسلحة بنصوص القرآن الكريم وبمصادر الدين الحنيف ككل، ويمكن عدّ المرجعية الدينية هي ((الفضاء الدنيوي، والفضاء الديني، والفضاء التوفيقي، فضلاً عن قوانين الشريعة والعرف والقانون))^(٣)، ويمكن أن نلمس حضور هذه المرجعية في جانبين الأول : الاقتباس القرآني والقصص القرآني.

(١) الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية: د. محمد خاتمي: ٨.

(٢) ينظر: أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب الادبي، فاتح زيدان: ٢٨.

(٣) المغرب العربي وقضايا الحداثة، عبد الكبير الخطيبي، : ١٤.

أولاً: الاقتباس القرآني

للمرجعية القرآنية الدينية أثر كبير على الشخصية الإنسانية تؤثر بشكل ملحوظ على صنع ثقافة الفرد ويمثل القرآن الكريم القوة المركزية الفاعلة والمؤثرة في الثقافة العربية الإسلامية فهو المصدر الذي انبثقت منه الرؤية الدينية للوجود، وهو الخطاب المتعالي بنسيجه الدلالي والأسلوبي المتين، وتركيبه اللغوي المخصوص^(١).

والأثر البالغ الذي يتركه القرآن الكريم في نفس المتلقي آتٍ من قداسة القرآن نفسه، ((فقدسية القرآن وأثره تقع في نفس الشاعر والمتلقي وقعاً خاصاً لا يمتاز به أي نص آخر))^(٢). أمّا الاقتباس لغةً فهو: ((أخذُ القَبَسِ - بفتحيتين - وهو الجُذوة من الجَمرِ، يُقال: قَبَسَ واقتَبَسَ، ويُطلقُ الاقتباسُ على استفادة العلم على أنه استعارة))^(٣).

وهذا التعريف اللغوي للاقتباس مناسب لمعنى الاقتباس الاصطلاحي، لأنه يدل على أخذ المقتبس شيئاً من الكتاب أو السنة ليضيء به، ومن هذا المعنى قال سبحانه وتعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿لَعَلِّي آتِيَكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾^(٤).

(١) ينظر : منظور التناس وحوارية الاقصاء الفني للهيمنة , صالح زياد, سلسلة الآداب واللغويات أبحاث اليرموك , مجلد ١٩ , عدد ١٤ , عام ٢٠٠١ : ٩٠ .

(٢) التناس مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر , عزة محمد جدوع, مجلة فكر وإبداع, الكويت, عدد ١٩٥٣, ١٩٥٣ : ١٣٧ .

(٣) لسان العرب، مادة: (قبس): ١٦٧/٦. وينظر: أساس البلاغة: ٢٢٤/٢.

(٤) سورة طه، الآية: ١٠.

وأما اصطلاحاً، فقد عرّفه القزويني بأنه: ((الإتيان بالقرآن أو الحديث على الوجه المذكور اقتباساً أخذاً من اقتباس نور المصباح من نور القبس، وهو الشهاب لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية))^(١).

فقد اشترط القزويني في هذا التعريف على هذا المصطلح (الاقتباس) عدم التغيير بالنص الأول المقتبس منه (القرآن أو الحديث) في قوله: (على الوجه المذكور) وإن تغير شيء من (النص الأول) فهذا تناص وليس اقتباساً، كما حددت ذلك الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا في كتابها (علم النص)^(٢)، والملاحظ أن القزويني - كغيره من النقاد أو الباحثين - لم يشترط على هذا المصطلح أنه في الشعر دون النثر، فهو في الشعر والنثر.

وقيل في الاقتباس: هو إدخال شيء من القرآن الكريم والحديث النبوي في النتائج الأدبي دون الإشارة إليهما مع استطاعة إجراء بعض التغيير من دون الإخلال بالمعنى^(٣)، فالعرب اشتقوا علومهم ومعارفهم من القرآن الكريم، فهو المصدر المشرع لهم، والأساس المتين الراسخ في بناء الفكر والثقافة الإسلامية العربية، وهو المنبع الأول للأدب الإسلامي الذي صاغ الأدباء آثارهم على هديه، واقتبسوا من نوره ما يقوي ألسنتهم وما يضمن لهم حسن القول وإتقانه^(٤)، فالأخذ من معاني القرآن ومفرداته وتضمينها في النصوص يجعل

(١) تلخيص المفتاح ، القزويني ، ٣٧٩.

(٢) ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريدا الزاهي، : ٧٨.

(٣) ينظر: الاقتباس من القرآن في الشعر : عبد الهادي الفكيكي : ١٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٨

من هذه النصوص ذات جمالية لغوية وصوغ جديد، وقد عرّفه الرازي: هو أن يضمّن كلمة من القرآن أو أي آية منه في الكلام تقريباً لنظامه^(١).

وفي القرآن الكريم صفات رائعة تجعل الأدباء ينهلون منه على الدوام، ولا يتجلى ذلك في القرآن الكريم فحسب، فهناك أيضاً الأحاديث النبوية تكون رديفة للمرجعيات الدينية، ولما لها من صفات جليلة صادقة التمسها الأدباء والكتّاب في نتاجاتهم الأدبية.

وقد اتجه إليه الكتّاب والأدباء، لكونه من الجوانب المهمة في المجتمع، فهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية وكلّ شيء آخر يتبعه ويقوم عليه، فالمرجعية الدينية تمثّل بداية التأثير بالدين، واستعمالها في النص، فتضيف له قوة ورصانة، وهناك دوافع تجعل الأدباء والكتّاب يوظفون التراث الديني في أعمالهم منها: إنّ الدين له ارتباط روحي بالإنسان، فضلاً عن أنه يجعل من النص مقبولاً لدى متلقيه أكثر من غيره من النصوص، وهذا التوظيف يكون آية قرآنية، أو حديثاً نبوياً، لذلك نرى إماماً كبيراً بالنصوص الدينية في الأعمال الأدبية المختلفة^(٢).

(١) ينظر: الاقتباس من القرآن في أدعية الصحيفة السجادية: خولة مهدي : مجلة كلية التربية، جامعة واسط ، مجلد ٦ ، عدد ٢٤ ، سنة ٢٠١٦ : ٢٦.

(٢) ينظر: الثقافة الإسلامية، محمد راغب الطبايع: ١٤.

ومن الدوافع الأخرى إنَّ استخدام النصوص الدينية تبرز وتظهر من شخصية الكاتب وقوة اطلاعه وثقافته الدينية، فضلاً عن ما في النص الديني من ابعاد جمالية وفنية كبيرة^(١) فالنصوص الدينية تعمل على تحقيق الأهداف الأدبية والفكرية للكاتب في نصه السردي.

وفي خضم حديث ابن الجوزي عن أخبار العلماء والحكماء، قال: ((عن زكريا بن أبي زائدة، قال: كنتُ مع الشعبي في مسجد الكوفة، إذ أقبلَ حمَّالٌ على كتفه كودن^(٢)، فوضعهُ ودخل إليه، فقال: يا شعبي! إبليس كانت له زوجة؟ قال: ذاك عرس ما شهدته، قال: هذا عالم العراق يُسأل عن مسألةٍ فلا يجيبُ! فقال: ردُّوه، نعم، له زوجة، قال الله ﷻ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾^(٣) ولا تكون الذرية إلا من زوجةٍ قال فما كان أسمها ؟ قال ذاك أملاك ما شهدته))^(٤).

اقتبس المتكلم ظُرفاً منه وحسن إجابة من قول الله تعالى السابق في أنَّ لإبليس ذرية، وفائدة هذا الاقتباس بيان وضوح الأمر، فأراد المتكلم التوضيح بالاستدلال القرآني، وفي قول الشعبي (ذاك عرس ما شهدته) ، سخرية من السؤال، وفيه توضيح من كلمة (عرس) أنه نعم، له زوجة، ولكنه في البداية أراد تسفيه السؤال من السخرية منه، ثم أتى الاقتباس القرآني

(١) ينظر: المرجعيات الدينية في مقامات زين الدين بن الوردي، د.كريمة نوماس المدني: ٦٠ .

(٢) الكودن: الفرس الهجين، والفيل والبغل والبرذون، هذا في أصل معناه، وأمَّا المقصود أنَّ الحمَّال كان يحمل حملاً كالسنام منتظياً إياه بثوبه، ينظر: لسان العرب: مادة(كدن):١٢/٣٥٥.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠ .

(٤) أخبار الطراف والمتماجنين : ٦٠ - ٦١ .

لإرادة حسم الحوار، وقد يكون الغرض من الاقتباس القرآني الاستفادة من معاني الآية وتوظيفها في موقف ما، كما في الخبر الذي رواه ابن الجوزي عن جرير عند إتيانه للأعمش يوماً ورآه جالساً على خليج من ماء المطر فقال له أحدهم: ((قُمْ عبرني هذا الخليج وجذب بيده فأقامه، وركبه وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ^(١)، ومضى به الأعمش حتّى توسط الخليج ثم رمى به، وقال: ﴿وَقُلْ رَبِّي أُنْزِلُنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ^(٢)) ثم خرج وتركه يتخبط في الماء)) ^(٣)، فكان هذا ردُّ الأعمش على ذلك الرجل الذي فرض عليه القيام والركوب وعبره الخليج، ثم قال ذلك الرجل دعاء الركوب الوارد في القرآن الكريم، فأتى اقتباس الأعمش من (سورة المؤمنون) مناسباً للموقف الحاصل معه.

ويأتي الاقتباس من الطرف ظرفاً وحسن إجابة منهم، بل وبلاغة وطلاقة لسان، كما روى المؤلف عن أعرابي: (أقبل إعرابي يريد رجلاً، وبين يدي الرجل طبق فيه تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكساء كان عليه، والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال نعم، قال فاقراً، فقرأ الأعرابي { وَالزَّيْتُونَ } وطُورِ سِينِينَ ^(٤) قال الرجل: فأين التين؟ قال: تحت كسائك ^(٥)).

(١) سورة الزخرف ، الآية ١٣ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٢٩ .

(٣) أخبار الطرف والمتماجنين : ٦٣ .

(٤) سورة التين ، الآيتان ١- ٢ .

(٥) أخبار الطرف والمتماجنين : ١١٤ .

تعتمد الأعرابي أن يقرأ بهاتين الآيتين، من سورة التين، كما تعتمد أن لا يذكر كلمة ((التين)) بلاغة وذكاء منه، وعندما سأله الرجل: أين التين؟ يقصد أين كلمة ((التين)) من الآية الكريمة؟ فأجابه: تحت كسائك، ويقصد بذلك التين الذي غطاه بنفسه، فكذا أتى الاقتباس من القرآن الكريم مناسباً للمقام، ولسياق الموقف.

فكان من توظيف الاقتباس في النصين السابقين أنه قد اختصر الكثير من الكلام ليدل به بالكلام القليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ على المعاني الكثيرة، فكان هذا الاقتباس وغيره من خيرة الأدلة على تأصيل الثقافة الإسلامية القرآنية في أذهان النحاة، نحو الأعمش، أو الأعراب وغيرهم من الحكماء، كما دلَّ هذا الإرجاع إلى القرآن الكريم في بعض أحداث الناس آنذاك اليومية إلى أنَّ القرآن الكريم كان كامناً في النفوس يقدر كلُّ منهم أن يعود إليه في لحظة معيَّنة، كلحظة الضعف، أو لحسن الرَّد وإظهار البلاغة والرجاحة على عادة الظراف، كما هو معروف عنهم.

وقد يأتي الاقتباس من القرآن الكريم على غير المعنى المراد له في القرآن، ليؤدي غرضاً ما أراده المتكلم، كما ورد في هذا الخبر: ((عُرِضَ على رجل جاريَتان: بَكْرٌ وَثَيْبٌ، فاخْتارَ الْبَكْرَ، فَقَالَتِ الثَّيْبُ: ما بيني وبينها إلا يوم، فقالت الْبَكْرُ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)، فاشترَاهَا))^(٢).

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧ .

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٤٨ .

فاقتبست قولها من القرآن الكريم لعقد المقارنة بينها وبين الثيب، من قول الله ﷻ: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }^(١)، فهي لم تقصد المعنى نفسه الذي في الآية الكريمة، وإنما قصدت الإشارة إلى أنَّ الفرق ليس بسيطاً ولا يقتصر على يوم واحد كما زعمت، وهذا من فطنة العرب ومن حسن الرد، وأنَّ الفرق بين البكر والمتزوجة كبير، وهذا أيضاً من فوائد استخدام الاقتباس ليدلَّ على بلاغتها، وظرفها، وأدبها.

وفي موضع آخر ذكر ابن الجوزي: ((قال رجلٌ لجاريةٍ أراد شراءها: كمَّ دفعُوا فيكِ؟ فقالت: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٢))، فرجعتُ إلى القرآن الكريم بجوابها، وأرادت أنَّها لا تعرف، وأنَّ سيدها يعلم ذلك، والخبر السابق يدلُّ على ضعف المرأة وانعدام حقوقها، ومن جانب آخر سرعة جوابها، وبديتها من خلال الاحتكام إلى تلك الآية.

ويروي ابن الجوزي في أوَّل خبر من القسم الرابع من الكتاب (فيما يروى من ذلك

عن العرب): قال أعرابي شعراً:

(البحر الوافر)

ولسْتُ مُسْلِمًا مَا دَمْتُ حَيًّا على زيدٍ بتسليمِ الأميرِ^(٤)

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٥٠.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٩.

فجملته (ما دمتُ حيًّا) مقتبسةً من قوله تعالى على لسان النبي عيسى {عليه السلام}:
 {وأوصاني بالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} ^(١)، أي: مدّة حياتي، والمعنى: مادام عيسى بن
 مريم {عليه السلام} لن يترك الصلاة والزكاة ما دام حيًّا، فكَذلك الأعرابي لن يُسلم على زيد (وهو
 أخوه) ما دام حيًّا كذلك، وأفاد هذا الاقتباس تأثر العرب بلغة القرآن الكريم، فقد دخل في
 كلامهم وأشعارهم عن طيب خاطر دون تعمد، فهذا البيت أتى ارتجالاً من ذلك الأعرابي،
 ومن ذكاء الأعراب وفطنتهم ويستترسل لنا ابن الجوزي في ذكر الاخبار الموشحة بالآيات
 القرآنية التي وردت فيها من ذلك: ((قال رجل لرجل: ممن أنت؟ قال : من العرب من بني
 تميم قال : من أكثرها أو من أقلها ؟ قال : من أقلها , يشير الى قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ
 يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } ^(٢)، فقول الرجل: إِنَّهُ مِنْ أَقْلَهَا، لأنَّ أكثرهم
 كانوا ينادون الرسول {صلى الله عليه وآله} من وراء حُجرات بيته من دون رعاية لمقتضى الأدب، فذمهم الله
 تعالى ووصفهم بأنهم لا يعقلون وهؤلاء الأكثر.

ولعلَّ السائل لم يجد وسيلةً يصل بها لجواب سؤاله أفضل وأجمل من تلك الإشارة
 لقول الله تعالى السابق فقد تكون ملكته اللغوية أو ملكة غيره من مثل هذه الأحوال فقيرة
 وناقصة، فكان لابد من اللجوء إلى النص الروحاني لينتقل من وضع السكون الى وضع
 الفاعلية والحركة، ومن هنا نقول أن فالثقافة الدينية ((تأتي لكي تكمل النقص والافتقار،

(١) سورة مريم: ٣١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين : ١١٥ .

ولكي تنتقل الإنسان من الوضع الساكن والناقص إلى الوضع الإنساني والروحي والأخلاقي الفاعل والمتحرك والذي ينتسب إلى عالم الفكر والروح^(١)، ويأتي الاقتباس القرآني وسيلة من خيرة الوسائل لدى بعض الظراف لإظهار طُرفهم وبراعتهم، كالخبر الذي أورده ابن الجوزي: ((عن عبد الرحمن بن مخلد: دفعت امرأة إلى رجل يقرأ عند القبور رغيفاً، وقالت له: اقرأ عند قبر ابني، فقرأ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٢)، قال: فقالت له: هكذا يُقرأ عند القبور؟! فقال لها فإيش أردت برغيف؟ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ذَانِ﴾^(٣)، ذاك بدرهم!))^(٤).

إنَّ العودة إلى القرآن الكريم والأخذ من معانيه ومفرداته وتضمينها في النصوص تجعل هذه النصوص مؤثرة في نفس المتلقي، والاستعارة منه ومن الحديث الشريف في بعض جوانبه كالزخرفة التي تزين الكلام وتعطيه رونقاً ورشاقة^(٥).

فالاقتباس ظاهرة حاضرة في الكلام العربي، والرسول {ﷺ} نفسه أفصح العرب لساناً، وأحسنهم فصاحة وبياناً، كان يتحدث بالقرآن أو يشير إلى بعض معانيه ومثال ذلك: ((قال محمد بن إسحق: لما خرج رسول الله {ﷺ} إلى بدر خرج هو ورجل آخر تبعه،

(١) المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة ، زكي ميلاد ، ، ١٤٩ .

(٢) سورة القمر : الآية ٤٨ .

(٣) سورة الرحمن : الآية ٨ .

(٤) أخبار الظراف والمتماجنين : ١٣٦ .

(٥) ينظر: الاقتباس انواعه وأحكامه ، عبد العزيز عبد المحسن: ٤٩ .

فراًياً رجلاً فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبراني من أنتم، فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال الشيخ بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا ، ثم قال: من أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: ((نحن من ماء)) وكان العراق يُسمى ماءً، فأوهمه أنه من العراق، وإنما أراد أنه خُلِقَ من نُطفة))^(١).

فاقتبس رسول الله محمد ﷺ كلامه من قول الله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ }^(٢)، وورد ذلك في قوله تعالى { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ }^(٣)، أشار بذلك إلى كيفية خَلْقِ الإنسان، فكان رسول الله ﷺ { يشيرُ إلى قدرة الله تعالى وعظمته، فهذه المخلوقات خلقها الله تعالى من ماء ثم تصير في أشكالٍ مختلفةٍ، فإنه على كل شيء قدير^(٤).

وفي اقتباس آخر للرسول ﷺ { ما ذكره ((مجاهد، قال: بينا رسول الله ﷺ { في أصحابه إذ وجد ريحاً، فقال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فاستحيا الرجل، ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ، فإن الله لا يستحي من الحق، فقال العباس: ألا نقوم يا رسول

(١) أخبار الظراف والمتماجنين : ٤٨ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة المرسلات، الآية: ٢٠ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ١٥/١٧٣ .

الله كُلُّنا نتوضأ؟^(١)، فَإِنَّ رسول الله ﷺ {أمره بما هو خير له وهو الوضوء بحسب هذه الرواية، فكان تعبير النبي ﷺ { قائماً على الخصال القرآنية الموجهة للإنسان، وهي حاملة منفعة له من ناحية ومن ناحية أخرى بيان لشريعة الله تعالى، وهو خصال مشتقة من قوله تعالى: { وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ }^(٢) .

وفي مرجعية قرآنية أخرى ذكرها ابن الجوزي، قول عثمان بن سعيد الرازي: ((حدثني الثقة من أصحابنا، قال: لَمَّا مات بشرُ المَرِيَّيِّ لم يشهد جنازته أحدٌ من أهلِ العلمِ والسُّنَّةِ أحدٌ إِلَّا عُبيد الشونيزي، فلَمَّا رجع من الجنازة، لاموه، فقال: انظروني حتَّى أخبركم، ما شهدتُ جنازة رجوت فيها من الأجر ما رجوت في شهود جنازته، إِنِّي لَمَّا قمْتُ في الصَّفِّ قلتُ: اللهمَّ عبدُك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهمَّ فاحبِّبه عن النظرِ إلى وجهك يوم ينظر إليك المؤمنون، اللهمَّ عبدُك هذا كان لا يؤمنُ بعذابِ القَبْرِ، اللهمَّ فعذبه اليوم في قبره عذاباً لم تعذبه أحدًا من العالمين، اللهمَّ عبدك هذا كان ينكر الميزان، اللهمَّ فحقِّف ميزانه يوم القيامة، اللهمَّ عبدك هذا كان ينكر الشفاعة، اللهمَّ فلا تُشَفِّع فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة ، قال : فسكتوا عنه وضحكوا))^(٣) .

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٤، والحديث ضعيف، ينظر: سلسلة الاحاديث الضعيفة للألباني: ٢٦٨/٣.

(٢) سورة الاحزاب: الآية: ٥٣.

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٧٠.

فقول الشونيزي: ((يوم ينظر إليك المؤمنون)) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾^(١)، وكان يريد من ذلك ألا يجعله الله تعالى من المفلحين يوم القيامة، وقوله: ((لم تعذبه أحداً من العالمين)) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فإني أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين﴾^(٢)، وقوله: ((فخفف ميزانه يوم القيامة)) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٣).

فهذا يدل على اقتباس الناس بمختلف طبقاتهم من القرآن الكريم لتأثيرهم به، وليزبنوا كلامهم بكلام الله تعالى تأكيداً وبلاغة في المعنى ومقاصد الخطاب.

وكذلك استعان أبو الحسن المدائني بالاقتباس القرآني، بقوله: ((قال بعض أهل العلم كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفاً أديباً، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمر بنا، فكلما رأيناه، قلنا له: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤)، فيسكت إلى أن اجتمع ما نريد، فمر بنا، فأعدنا عليه، فقال: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾^(٥))^(٦)، فقد اقتبسوا هم من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وهو تذكير لصاحبهم بوعده لهم عندما ظنوا أنه

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الانبياء، الآية: ٣٨.

(٥) سورة المرسلات، الآية: ٢٩.

(٦) أخبار الطراف والمتماجنين: ٨٩.

أخلف بوعده وكذبوه، وكذلك هو أيضاً أقتبس من القرآن الكريم الآية التي ردَّ عليهم بها، وهي قوله تعالى: ﴿اٰطَلِقُوْا اِلٰى مَا كُنْتُمْ بِهٖ تُكٰذِبُوْنَ﴾ .

وهذا خبر آخر رواه ((أبو الحسن بن المتيم الصوفي يسكن الرصافة، وكان مطبوعاً مضحاكاً، وكان دائماً يتولّع برجل شاهد فيه غفلة يُعرف بأبي عبد الله إلكيا، قال ابن المتيم: فلقيته يوماً في شارع الرصافة، فسلمتُ عليه وصحت به: لتشهد عليّ، فاجتمع الناس علينا وقال: بماذا؟ قلتُ: إنّ الله تعالى إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلّا هو، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حق، والنار حق، والساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعثُ مَنْ في القبور، فقال أبشر يا أبا الحسين، سقطتُ عنك الجزية، وصرتَ أخاً من أخواننا، فضحك الناس وانقلب الولعُ بي))^(١)، ونرى أبا الحسن استمدَّ كلامه من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٢).

وفي مرجعية دينية أخرى ذكرها لنا ابن الجوزي قوله: ((سافر أعرابي في وجه فلم ينجح، فقال: ما ربحنا في سفرنا إلا قصر الصلاة))^(٣)، فاقتبس قوله هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٤)، وكان آيات القرآن الكريم صارت سائدة على الألسنة في ذلك العصر، فجاءت من خلال الاقتباسات أثناء كلام الناس، وهذا من فنون البلاغة وهو يدل على تفوق الثقافة

(١) أخبار الطراف والمتماجنين : ٩٥ .

(٢) سورة الحج : الآية : ٧ .

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين : ١١٧ .

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٣ .

الدينية على غيرها، ليؤتى بها عفو خاطر أثناء الخطاب أو أثناء كل خطاب في ذلك العصر.

ثانياً: القصص القرآني

سرد القرآن الكريم قصصاً كثيرة فيها العبرة والفوائد والعلم، منها قصص الأنبياء كقصص موسى ويونس وإبراهيم ونوح ويوسف وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وقصص الحكماء، نحو قصة لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه وذو القرنين، وقصص الأنبياء مع الحكماء، نحو قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وبعض القصص التي فيها عبرة نحو قصة أصحاب الجنة، وأصحاب الكهف وغيرها.

وقصص الملائكة نحو قصة خلق آدم وغير ذلك مما استحوذ على الذهن وملكت لغته الربانية القلوب وعلموا أنه الحق من ربهم، ((وبعضها ذكرت على غير طبيعتها وإنما كانت آية من آيات الله تعالى، كعصا موسى {عليه السلام} التي تحولت إلى أفعى، وطير عيسى {عليه السلام} الذي صنع منه كهيئة الطير ونفخ فيه فأصبح طيراً بإذن الله تعالى، ومن ذلك أيضاً طير الأباليل التي أرسلها الله تعالى على أبرهة وقومه))^(١).

والقص بدأ حين انتهت الأحداث وأصبحت ماضياً^(٢)، فالقص القرآني يختلف عن القص البشري بكونه كلام الله تعالى، وبأسلوبه، وجودته وجماله، ووصفها تعالى بأنها:

(١) قصص الحيوان في القرآن، أحمد بهجت، : ٧.

(٢) ينظر القصص القرآني، د. محمد كريم الكواز: ١٥.

{أَحْسَنَ الْقَصَصِ} ^(١). وهذا الوصف العظيم من الله تعالى يدلُّ على أنَّها أصدقها وأنفعها للعباد، ولها منافع عديدة، منها أنَّ بها يكتملُ الإيمانُ بالأنبياء، وإنَّ في قصصهم تقرير بالإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العمل له سبحانه، والإيمان باليوم الآخر وحسن التوحيد ووجوبه، وتقبيح الشرك، كما انها عبرة لأولي الألباب.

والقصة قد تطولُ وقد تقصرُ في الذكرِ الحكيم، ولعلَّ طولَ القصة في القرآن الكريم لا يسمح بسردها كاملة في نثر الناثرين وفي شعر الشعراء، ولكنهم يقتبسون منها قيساً، أو يشيرون إليها إشارة، كذكر جملة منها أو يمكن التلميح إليها على سبيل المثال، كما ذكر ابن الجوزي في قصة الهدد مع سليمان {عليه السلام} فقد ذكر في الإسرائيليات: ((إنَّ الهددَ جاء إلى سليمانَ، فقال: أريدُ أن تكونَ في ضيافتي، فقال سليمانُ: أنا وحدي؟ فقال: لا بل أنتَ والعسكر، في يومٍ كذا، على جزيرةٍ كذا فلمَّا كانَ ذلكَ اليومُ، جاءَ سليمانُ وعسكرُهُ فطارَ الهدد، فصاد جرادة، فخنقها ورمى بها في البحرِ، وقال: كُلُوا، فمنْ لمْ ينلْ من اللحمِ، نالَ من المرقَّة، فضحكَ سليمانُ من ذلكَ وجنوده حولاً كاملاً)) ^(٢).

هذا ليس اقتباساً بالمطلق من قصة الهدد مع سليمان {عليه السلام}، ولكنَّه اقتباس جزئي لأنَّه استحضر شخصية الهدد وشخصية نبيِّ الله سليمان {عليه السلام}، وكذلك قوله: ((الهدد

(١) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين: ٤٧.

جاء إلى سليمان) فهذه إشارة للقصة المعروفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَدَّرَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(١).

وهذا الاقتباس غير المباشر أو الإيحائي لم يأت إلا من قوّة الشخصية المستدعاة ، ولما لها من قدرات إيحائية فإنَّ ((أول المبررات الفنيّة لاستدعاء أيّة شخصيّة تراثيّة هو استغلال ما تمتلكه هذه الشخصية من قدرات إيحائية قويّة ناجمة عمّا ارتبطت بها من دلالات في وجدان المتلقي ووعيه، بحيث يكون استدعاء الشخصية التراثية مثيراً لتلك الدلالات وباعثاً لها)^(٢)، فأكثر ما يتذكر المتلقي من قصص النبي سليمان { ﷺ } قصّته مع الهدهد لشهرتها ورسوخها في الأذهان، فالأقتباس الإشاري وغير المباشر هو ذكر عنصرى القصّة الأساسيين: سليمان عليه الصلاة والسلام والهدهد.

وقد وردت أيضا طائفة من الأخبار أيضاً في كتاب ابن الجوزي التي فيها اقتباس من قصّة موسى عليه السلام، منها: ((قال يهودي لأمير المؤمنين عليّ: ما دفنتم نبيكم حتّى قالت الأنصار منّا اميرٌ ومنكم أمير، فقال له عليّ: أنتم ما جفّتم أقدامكم من البحر حتّى قلتم: اجعل لنا إلهاً^(٣)))^(٤)، فكلّامه مقتبس من القرآن الكريم في قصه موسى { ﷺ }:

(١) سورة النمل، الآية: ٢٠.

(٢) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، : ٢٧٩.

(٣) سورة الاعراف، الآية: ١٣٨.

(٤) اخبار الطراف والمتماجنين: ٥٤.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (١).

فبعد أن نجّاهم الله عزّ وجلّ من فرعون وقومه وتبيّنت لهم آيات الله تعالى وقدرته، طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم صنماً.

وإنّ هذا أيضاً يأتي مع ذكر رسول الله محمد ﷺ بموقع بدر المعروف الذي جرت فيه أول معركة في الإسلام، وتلك القصة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَاتَّمَّ أَذْلَهُ﴾ (٢).

وهذه القصّة، قصّة المعركة المذكورة في القرآن، لا شك في أن القارئ قد استحضرها عند قراءة الخبر الذي أورده ابن الجوزي عن رسول الله ﷺ، قال: ((لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خرج هو ورجل آخر فرأيا رجلاً...)) (٣) إلى آخر الخبر، كذلك هو اقتباس إشاري، لأنه بالضرورة يستوجب استحضار أحداث المعركة أو المعركة والحادثة كلها، فإذا كان الاقتباس في العصر الحديث معناه تضمين شيء من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف على أن يكون المتكلم جزءاً من كل الكلام (٤)، فإن قصة بدر حاضرة في المثال السابق بشكل مباشر، (عندما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر...) وبشكل غير مباشر، لأنه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٣) اخبار الطراف والمتماجنين: ٤٨.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،: ٥٦.

لم يذكر القصة كاملة ولكنه اقتبس جزءاً يسيراً منها بما يفيد غرض إظهار البلاغة وحسن التصرف.

وتكون القصة القرآنية اقتباساً مع خبر من أخبار الأطراف أوضح منها في المثالين السابقين أو هي أشد حضوراً للتصريح بعبارات من جوهر تلك القصة، كالقصة التي أوردها ابن الجوزي، وقال فيها: ((قال سعيد بن حفص المدني: قال أبي: أتى المأمون بأسود قد ادّعى النبوة، وقال: أنا موسى بن عمران! فقال له: إن موسى أخرج يده من جيبه بيضاء، فأخرج يدك بيضاء حتى أوّمن بك، فقال الأسود: إنما فعل موسى ذلك لما قال له فرعون أنا ربكم الأعلى! فقل أنت كما قال حتى أخرج يدي بيضاء، وإلا لم تبيّض))^(١)، فهذا رجل من مدّعي النبوة، وأدعى كذلك أنه هو موسى نفسه! وعندما طلب منه المأمون معجزة موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَّ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتحشى﴾ فأراه الآية الكبرى ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿فَحُشِرَ فَنَادَى﴾ فقال أنا ربكم الأعلى﴾^(٣).

فكانت المرجعية القصصية وسيلة حاضرة ليردّ بها مدّعي النبوة طلب المأمون، لكنّ هذا المدعي الكاذب جهل أنّ قول فرعون بأنّه الرب الأعلى أتى بعد أن حُشر ونادى وذلك بعد تكذيبه لموسى، ولكن لا ينفي ذلك أنّ فرعون كان يدعي الألوهية قبل موسى، وكذلك

(١) أخبار الأطراف والمتماجنين: ١٠٦ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٠٨ .

(٣) سورة النازعات، الآيات: ١٧ - ٢٤ .

حسن الإجابة أتت من الاقتباس الأول (طلب المأمون) وهو الاقتباس والأمر الذي أبهت المدعي فما كان أمامه إلا التهرب من هذا الطلب المعجز إلا بالمكر والالتفاف.

ومن الأخبار التي تشير إلى القصص القرآنية التي أوردها ابن الجوزي: ((قال رجل لنسوة: إنكّن صواحب يوسف، فقلن: فمن رماه في الجب نحن أو أنتم؟))^(١)، فأشارت النسوة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٢)، وهذه الإشارة من حسن المحاجة، ومن فنون الردّ البديعة الظريفة، وتعد قصة النبي يوسف {عليه السلام} من القصص الغنية بالدروس والعبر والقيم والأخلاق والثبات على الحق.

وأورد ابن الجوزي هذا الخبر الذي تناص مع قصة موسى {عليه السلام} مع الخضر {عليه السلام}، الواردة في سورة الكهف، قال ابن الجوزي: ((وكان بين يدي معاوية ثريدة كثيرة السمن، ورجل يواكله فخرقه إليه، فقال له: أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا^(٣)، فقال: فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ^(٤)))^(٥)، وهذه الآية مقتبسة من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا* قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا

(١) أخبار الطراف والمتماجنين : ١٥١.

(٢) سورة يوسف: الآية: ١٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٧١.

(٤) سورة فاطر , الآية ٩ .

(٥) أخبار الطراف والمتماجنين : ٨٤.

تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا* فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١﴾

وأراد معاوية من اقتباسه قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ ، أنه يعطيه تلك الثريدة، وأراد الرجل من اقتباسه القصصي من سورة الكهف إنكار فعل معاوية في خرق الثريدة، فمعاوية إذن خرق السمن للرجل، وما كان الرجل يعلم أنه إليه، ومن هذا يستدل المرء على شدة حضور آيات القرآن الكريم في نفوس أهل ذلك الزمان بقصصه وعبره وكل ما فيه، كما يستدل على سرعة استحضار الآيات في حين لزم الكلام بشيء من القرآن.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: ((ولمَّا مَاتَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، النقي هو وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أَمَّا إِمَامُكَ فَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ لَهُ شَيْطَانُ الطَّاقِ: أَمَّا إِمَامُكَ فَمِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ))^(٢)، وقول شيطان الطاق هذا فيه تناص ديني مع قصص القرآن الكريم، فيما رُوي عن إبليس عندما أبى أن يكون مع الساجدين، قال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ قال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣﴾ إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٣).

وأراد شيطان الطاق من هذا الرد القاسي تشبيه أبي حنيفة بأصل الشر إبليس، وهذا اقتباس من قول إبليس الذي أورده الله تبارك تعالى في القرآن العظيم، ولكنَّ الكلام له أبعاد

(١) سورة الكهف الآيات: ٦٦ - ٧١ .

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين : ٧٣ .

(٣) سورة الحجر ، الآيات : ٣٦-٣٨ .

باللزام لا تخفى عن أبي حنيفة، ومنها السخرية، ذلك لأن الخلد ليس لبشر، فأبو حنيفة الآن قد فارق الحياة، فكان المتكلم حين قال ذلك إذا يعلم أنه سيفارق الحياة، ولن يبقى مثل إبليس إلى يوم الدين، وفيه بعد آخر وهو ذم أبي حنيفة لتشبيهه بإبليس ضمناً، وبالتالي رفع شأن إمامه هو.

وفي خبر يرويه ابن الجوزي: ((عن عكرمة أن عبد الله بن راحة كان مضطجعاً الى جنب امرأة، فقال: (البحر الطويل)

أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ كَمَا لَاحَ مَشْهُودٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ

أَتَى بِالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فُقُلُونَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيْتُ يَجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَلَقْتُ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ))^(١)

في الأبيات السابقة اقتباس مع آيات الذكر الحكيم، ((ويجوز للمقتبس أن يغير في الآية أو الحديث قليلاً))^(٢)، فإذن لا يمنع إجراء بعض التغيير عند المتكلم، في الكلام من كونه اقتباساً، ففي الشطر الأول من البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٣)، وفي الشطر الأول من البيت الثاني إشارة

(١) أخبار الظراف والمتماجنين : ٥٥، وينظر: ديوان عبدالله بن راحة ، تحقيق محمد علي القطب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ٥٦.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، ٥٦: .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(١)، وفي الشطر الأول من البيت الثالث إشارة الى قوله تعالى: ﴿تَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٢).

فالاقتباس من آيات أو معاني آيات القرآن الكريم ظاهر في هذه المقطوعة الشعرية لابن رواحة الواقعة يمدح رسول الله ﷺ والتي لم تخرج عما مدحه الله بها في القرآن الكريم فأراد عبد الله بن رواحة من هذا الاقتباس أن يلفت النظر عن أن يقرأ من القرآن نفسه، فكان منه بهذا الظرف وبذلك البلاغة الأدبية أن يفلت من الطلب بأن يقرأ شيئاً من القرآن لأمر أراد أن يخفيه، فجاء هذا الاقتباس المكثف دليلاً على رسوخ القرآن الكريم في نفس الشاعر ودليلاً على قوة تأثير القرآن الكريم في ثقافة ابن رواحة، ومن ثم فهو دليل على رسوخ هذه المرجعية وحضورها القوي في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي على أساس أنه أورد هذا الخبر وغيره مما يشبهه في كتابه هذا.

ومما يعزز حضور تلك الثقافة القرآنية وحضورها في كل من كتاب ابن الجوزي، وفي أذهان أصحابها ونفوسهم ، هذا الخبر عن مالك بن أنس أنه روى للشطار ملاحظة: ((كان أحدهم يصلي خلف إنسان، فقرأ الإنسان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، حتَّى فرغ منها، ثم

(١) سورة الصف : الآية : ٩ .

(٢) سورة السجدة : الآية : ١٦ .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية ٢ .

أُرتجّ عليه فجعل يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك، فقال الشاطر: ليس للشيطان ذنب إلا أنك لا تحسن تقرأ^(١).

فكان الصواب إذن أن يستعيز ثم يقرأ بالفاتحة، وكان أيضا هذا الجواب قوة بديهة وحسن جواب من ذلك الشاطر، ليدل بهذا الاقتباس المعنوي من قوله تعالى: { فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم }^(٢)، على المرجعية القرآنية حتى في تفسير أحوالهم أو ما يصيبهم. فقد كشفت هذه النصوص الدينية عن شخصية الكاتب وعمق معرفته وغنى ثقافته بالإضافة الى ما تتضمنه من جماليات فنية .

(١) اخبار الطراف والمتماجنين : ١٢٠.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٨ .

المبحث الثاني

المرجعية النبوية ((الأحاديث النبوية التشريعية))

يُعدُّ الحديث النبوي من أهم مصادر التشريع الإسلامي، بالنسبة الى المسلمين، لأنَّه يمثل تفسيراً لتعاليم الإسلام جميعاً، واهتم العلماء والرواة والبلغاء بالحديث النبوي لأنَّه يمثل هداية للبشر يهديهم ويرشدهم إلى الطريق القويم.

وإنَّ ما يميز المرجعية الدينية سواء أكانت من القرآن الكريم أو من السُّنة النبوية الشريفة هو أن مصدرها الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) ، وللسُّنة النبوية حظٌّ وافرٌ في كتاب أخبار الطُّراف والمتماجنين لابن الجوزي فهي ذات منهج قويم في التربية وتقويم السلوك في قيمها ومبادئها وفكرها المستتير بالهدى الإلهي القويم.

ومن الأمثلة على تلك المرجعيات ما أورده ابن الجوزي: ((قال رجلٌ: يا رسولَ الله إنَّ لي جاراً يؤذيني، فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناسُ عليه، فقالوا: ما شأنك؟ فقال: لي جارٌ يؤذيني، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ {، فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فاجعلوا يقولون: اللهمَّ العنه، اللهمَّ اخزه، فبلغه فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلِك فوالله لا أُؤذيك)) (٢).

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين: ٤٧-٤٨.

الظُّرف وحسن القول في الشاهد السابق كان من رسول الله محمد ﷺ، فقد قال: (انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق)، وكانت هذه حكمة بالغة لردع وفضح الرجل المؤذي وكانت هي عِبرة لغيره، وفي هذا الخبر وما شابهه الكثير من التأكيدات بأن المرجعيات الدينية المقتبسة من السنة النبوية المطهرة كانت حاضرة في كتاب ابن الجوزي أخبار الظراف والمتماجنين، وهنا قد شرَّع الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام الجلوس في الطريق مع المتاع لحكمة مرادة ومصلحة بالغة وهي سكون الرجل في بيته.

وبحكمة بالغة استطاع الرسول ﷺ {منع حادثة قتل من الحدوث وإن كانت محقة وعادلة، لكن الرحمة تسبق العدل، كما في الخبر المروي عن الحسن البصري ((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ {برجل قد قتل حميماً له، فقال له: أتأخذ الدية؟ فقال: لا، قال: أفتعفو؟ قال لا، قال: اذهب فاقتله، فلما جاوزه قال رسول الله ﷺ { : إنَّ قتله فهو مثله، فأخبر الرجل فترَّكه، قال ابن قتيبة: لم يرد أنه مثله في المأثم، إنما أراد أن هذا قاتل وهذا قاتل، إلا أن الأول ظالم والثاني مقتص))^(١).

وأفاد ابن الجوزي من هذا الخبر لتوضيح فكرة العفو والصفح، فاستعان بهذا الخبر الواضح والصريح الذي يجعل كُلاً من الجاني والمقتص في مرتبة واحدة، ماعدا مرتبة الظلم،

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٤٨.

ولو أراد القارئ تتبع الكتاب كله ما وجد فيه شيئاً من الضغائن أو ما يثر النفوس، بل هو في تهذيب النفوس.

ومن سنن الاسلام، السحور للصيام من الأمور التي حث النبي ﷺ عليها، وقد أورد في هذا ابن الجوزي الخبر الآتي الذي يرويه عن الشعبي بحديث مرفوع عن النبي عليه الصلاة والسلام، جاء في الخبر ما يلي: ((روى عامر الشعبي يوماً: أن النبي ﷺ قال: تَسَحَّرُوا، ولو أن يضع أحدكم إصبعه على التراب، ثم يضعه في فيه، فقال رجل: أي الأصابع؟ فتناول الشعبي ابهام رجله، وقال: هذه)) (١).

كانت هذه الأخبار ومن نحوها في هذا الكتاب لابن الجوزي من أدل الأدلة على حضور تلك الثقافة الدينية المرجعية في ذهنه كلَّ الحضور، فهو كان ينوع بين التعاليم السنية الواردة في الحديث والأثر النبوي، ويمكن القول بأن الجانب الديني لا سيما الوارد من الحديث الشريف كان أكثر حضوراً وأعم شمولاً كمرجعية ثقافية في الكتاب، أراد منها الكاتب ترسيخ تلك الثقافة في النفوس، كما أراد بثَّ روح المرح والظُّرف بين الناس، وعلى هذا يمكن الانتقال إلى فكرة المستوى التركيبي في التأليف والإبداع، وهذا معني وهو متصل بقدرة المؤلف وموهبته الفنية في بناء عمله الأدبي بحسب القيم الدلالية والثقافية العامة المتواجدة في التركيب وسياق العمل العام (٢).

(١) أخبار الظرف والمتماجنين : ٦١ .

(٢) ينظر: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب: ١٠١ .

ويمكن القول بأن المرجعية الثقافية في كتاب ((أخبار الظراف والمتماجنين)) قد تجاوزت حد المرجعية من كونها نقطة انطلاق لتكون هي أيضاً نقطة عودة، ففي هذا التركيز من قبل الإمام عبد الرحمن بن الجوزي على السنن النبوية وغيرها من المرجعيات الدينية الإسلامية تكاد تكون أو أنها كانت بالفعل وأراد حقاً منها ابن الجوزي أن تذيع وتنتشر في الناس.

كذلك الأسلوب الراقي والرفيع في الرد والكلام الذكي الحسن واللبق أيضاً، ومن حضور ثقافة وسُنّة الأضحية أورد ابن الجوزي هذا الخبر أيضاً، قال: ((ضحّى فضل الوالي عن امرأته ستين سنة، فسمع يوماً محدّثاً يُحدّث، يقول: يُحشر الناس يوم القيامة وبين أيديهم ضحاياهم، فقال: إن كان كما تقول فإن امرأتي تحشر يوم القيامة راعية بعصاوين))^(١).

وبهذا الخبر الظريف الآتي يتضح أسلوب ابن الجوزي، كأكثر شواهد الكتاب، هذا الأسلوب في انتقاء الأخبار المبني على الفكاهة وحسن الإجابة وبث روح المرح والعلم، وجاء في الخبر: ((جاء رجل إلى ابن عقيل، فقال له: إني اغتمس في النهر غمستين أو ثلاثاً ولا أتيقن أنه قد عمّني الماء ولا أتي قد تطهرت! فقال: رُفِعَ القلمُ عن المجنون حتّى يفيق، ومن ينغمس في النهر مرتين أو ثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون))^(٢)، ولعل

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٣٩.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٠١.

ابن عقيل يقصد حديث رسول الله ﷺ: {رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ} (١).

وأراد ابن عقيل بهذا ليس ما ظهر منه حرفياً ((لأنَّصَلَ)) ولكن أراد إظهار التعجب والغربة من موقف ذلك الرجل من نفسه، وأراد إبطال حكمه في أنه لم يطهر.

ويمكن القول: إنَّ ابن الجوزي قد أجادَ في خدمة التراث الماضي من ذكره ما كان من بعض القصص عن الأنبياء ﷺ وغيرهم من الرجال والحديث النبوي الشريف، وكلُّ هذا كان في دائرة مرجعيَّات ثقافيَّة وفكريَّة حكمت الكتاب كلَّه، وهذا يعني أنَّ (حالة التأليف في القرن السابع الهجري وما يليه والتي جعلت الشيوخ يهتمون بالماضي وحده حتَّى أجادوا في خدمته) (٢).

وثمَّة من الأخبار ما يدلُّ على اتباع أصحابها أسلوب الإقحام في الكلام وليس الظرافة فحسب وهي مما يشير إلى حديث نبوي، كما في هذا الخبر عن محمَّد بن مسلمة المدني قيل له : ((إِنَّ رَأْيِي أَبِي حَنِيفَةَ دَخَلَ هَذِهِ الْأَمْصَارَ كُلَّهَا وَلَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ ، قَالَ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : {عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ يَمْنَعُ الدَّجَالَ مِنْ دُخُولِهَا}، وكلام هذا من كلام الدجالين فمن ثم لم يدخلها)) (٣).

(١) سنن أبي داود ، حديث رقم : ٤٤٠٣.

(٢) الفكر العربي مدخل العصر الحجري، حسين مؤنس، مجلة أكتوبر، القاهرة، ع ٣٩٩، ١٩٨٤ : ٣٤.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين: ٧٣، وتاريخ بغداد : الخطيب البغدادي (باب النون) : ١٣ / ٣٩٥ - ٣٩٦.

يشير هذا الخبر إلى الأحاديث النبوية الواردة عن المسيح الدجال وخروجه وكيف هو لا يدخل مكة ولا المدينة، وعاد ابن الجوزي ورد على هذا الذي شبه أبا حنيفة بأنه دجال قال في حاشية النسخ المحفوظة ((أخطأ محمد بن مسلمة في هذا الكلام خطأ قبيحاً، حاش لله، وليس رأي أبي حنيفة رأي الدجال، بل هو إمام الأمة وسراج الأئمة فاعلم ذلك ولا تغتر بهذا المنقول فإنه غير معقول))^(١)، وبهذا يكون ابن الجوزي قد استحضر اثنتين من المرجعيات ((الأحاديث النبوية، والشخصيات)).

ويروى ابن الجوزي خبراً مطولاً عن أحمد بن المعدّل، جاء فيه: ((كنتُ جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاء بعض جلسائه وقال أعجوبة، قال: ماهي؟ قال: خرجت إلى حائطي بالغابة فلما أصحرت وبعدت عن البيوت تعرض لي رجل، فقال اخلع ثيابك! قلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي، قال: أنا أولى بها منك... قال: تصفحتُ أحد اللصوص في عهد رسول الله ﷺ، وإلى وقتنا هذا، فلم أجِدَ لصاً أخذ نسيئه، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعةً يكون عليّ وزرّها ووزرٌ من عمل بها إلى يوم القيامة، اخلع ثيابك، فخلعتها ودفعتها إليه))^(٢)، ففي هذا الخبر إشارات عديدة إلى غير حديث واحد من الأحاديث النبوية الشريفة، منها قوله ﷺ: ((واياكم ومحدثات الأمور فكل محدثة بدعة))^(٣)، وفيه أيضاً إشارة إلى الحديث القائل: ((من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجرها من

(١) المصدر نفسه : ٧٣ .

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ٨٤-٨٦.

(٣) أخرجه ابو داود ، رقم : ٤٠٦٧ ، والبخاري برقم : ٢٦٩٧ ، ومسلم برقم : ١٧٨١ .

عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))^(١).

وكذلك ترى في الخبر السابق في الكتاب ثقافة الصدق، والزهدي، وحسن الخلق، وقد اجتمعت هذه الثلاثة مع اللص حسب الخبر المروي، وهذا أيضا من منبع النبوة الصافي.

ولا شك في أن استحضر النص الديني أو الأدبي يكون استحضرًا منتظمًا بين اللغة والذاكرة والفكر، أي ((إن تلك البنية النصية في الذاكرة بكل تأكيد ليست مطابقة للبنية النصية المجردة على نحو ما ينتظم في نص ما من نحو أو نظرية نصية مجردة وفي الحقيقة يشكل مستخدم اللغة البنية النصية في الذاكرة على أساس اهتمامه وميوله ومعارفه وآرائه ورغباته وأهدافه الخاصة))^(٢).

والخبر الآتي الذي في الكتاب إشاراتٌ إلى أكثر من حديث نبوي، جاء في الخبر: ((قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك: كان عندنا رجل يكنى أبا نصر، من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناس فيه يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله {ﷺ} فأتيته يوما فقلت: ما الشرف؟ قال حمل ما ناب العشيرة، والقبول من مُحسنها، والتجاوز عن مسيئها، قلت: ما المروءة؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام وتوقي الأدناس، قلت: ما السخاء؟ قال: جَهْدُ مَقْلٍ قلت: فما البخل؟ قال أفّ، وَحَوْلَ وجهه عني، قلت أجبنِي!، قال:

(١) رواه مسلم رقم : ٤٨٣٠.

(٢) علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تون فاي دايك، : ٣٠١.

قد أجبته))^(١)، فتمّة في هذا الخبر تناص غير مباشر في اللغة والأسلوب مع أحد الأحاديث النبوية الشهيرة، وأما عن تناص اللغة والأسلوب ((يعني اللغة أو الأساليب التي تأثر بها الكاتب واستخدامها من ناحية أو اللغة والأساليب التي وظفها فنيا وفكريا في روايته أي لم يتأثر بها أسلوبه أو لغته، وإنما هي متناصة مستحضرة موظفة مع نصه، لغته، أسلوبه الأصلي))^(٢). ويسمى هذا الأسلوب بالأسلوب التناصي أو المحاكي .

وأما الحديث المتناص مع هذا الخبر في اللغة والأسلوب هو ما يعرف بحديث جبريل عليه السلام، وهو: ((عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله {ﷺ} إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتّى إذا جلس إلى النبي {ﷺ} فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال له: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدق، قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان...، الحديث))^(٣).

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٢٢.

(٢) التناص نظرياً وتطبيقاً، الدكتور أحمد الزعبي، : ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان حديث: ١ .

قوله (إطعام الطعام، وإفشاء السلام) فهو يشير إلى الحديث النبوي القائل: {أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ} (١).

فالأحاديث النبوية الشريفة لها الأثر البالغ في بناء الشخصيات الواردة ذكرها على الأغلب الأعم في كتاب أخبار الطراف والمتماجنين، وفي الكتاب نفسه، وعلى أن الكتاب في الأخبار لكن المؤلف لم يغفل الانشغال بالمسألة التراثية والثقافة العربية الإسلامية، ولم يكن ذكرها اعتباطاً، بل هو بمنهج اجتماعي معبر عن الهوية العربية متسعة المشارب.

المبحث الثالث / المرجعية الفقهية والعبادية

الفَقْهُ لغةً: هو ((العلم بالشياء، يقال: فقه الشيء علمه، وفقه فقهاً، بمعنى علم عالماً، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم))^(١)، قال تعالى: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين} ^(٢)، وقال تعالى: {واخلل عُدَّةَ من لساني *يفقهوا قولي} ^(٣).

فلم تخرج معاني (فقه) في كل من الآيتين الكريمتين عن المعنى اللغوي المعجمي، أي الفهم والعلم، ولكن بعد أن صارت علوم الإسلام متنوعة ومتخصصة عرف الفقه بأنه أحكام العبادات كالصلاة والطهارة والحج والصيام وغير ذلك من كل أنواع العبادات، ومن تجليات ذلك في كتاب دراستنا: ((عن عبد الله بن عاصم بن المنذر قال: تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بنت عمرو بن نفيل، وكانت حسناء، ذات خلق بارع، فشغلته عن مغازيه فأمره أبوه بطلاقها، فطلقها، وقال: (البحر الطويل)

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً في غير جرم تطلق

فرّق أبوه، وأمره فراجعها ثم شهد مع الرسول الله ﷺ غزاة الطائف، فأصابه سهم فمات

منه، فقالت عاتكة: (البحر الطويل)

(١). لسان العرب، مادة (فقه): ١١/٢١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣). سورة طه، الآيتان: ٢٧. ٢٨.

رُزِيْتُ بخيرِ الناسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وما كان قصراً

وَأَلَيْتُ لَا تَتَفَكُّ عَيْنِي حَزِينَةً عَلَيْكَ لَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَغْبَرًا

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرَا

إِذَا شُرِّعَتْ فِيهِ الْأَسْنَةُ خَاصَّهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الرَّمَحَ أَحْمَرَا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب، فأولم وكان فيمن دعا علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير

المومنين، دعني اكلم عاتكة، فقال: كلمها، فأخذ علي بجانب الخدر، ثم قال يا عدية نفسها:

وَأَلَيْتُ لَا تَتَفَكُّ عَيْنِي قَرِيرَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَصْفَرَا

فبكت، فقال عمر: ما دعاك إلى هذا؟ فقالت: كل النساء يفعل هذا^(١).

والوليمة في الزفاف واجبة في الفقه الإسلامي، لقوله ﷺ {لعبد الرحمن بن عوف: {أولم

ولو بشاة^(٢)، ومن سنة وليمة العرس في كتاب دراستنا قال جرير: (دُعِيَ الْأَعْمَشُ إِلَى

عرس، فننشر فردته، ثم جاء فرده الحاجب، فرجع فلبس قميصاً وإزاراً، وجاء فلما رآه الحاجب

أذن له، فدخل وجاؤوا بالمائدة، فبسط كُفَّهُ على المائدة وقال: كل، فإنما أنت دُعِيت وليس

أنا، وقام ولم نأكل^(٣).

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في النكاح (٥١٥٣)، ومسلم: (١٤٢٧).

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٦ - ٦٧.

فليس من شك في أن أصحاب النبي {ﷺ} في عهده أولموا في أعراسهم، وهذا الخبر المروي يعزز ذلك التأكيد وذكره في الكتاب يدل على استمرار تلك العادة وشدة حضورها وذكر موضوع الوليمة للمعرس في هذا الخبر والتركيز عليه يدل على حضور الفقه الإسلامي كمرجعية في بناء ابن الجوزي كتابه، ولما كان الفقه مرتبطاً بالأدب والتأدب، ما غاب هذا عن فقيه الأمة العباس عندما سُئل: ((أأنت أكبر أم رسول الله {ﷺ}؟)) قال: هو أكبر مني، وأنا وُلِدْتُ قبله))^(١)، أراد ابن الجوزي من هذا الخبر إظهار ذكاء العرب في الكلام لا سيما الصحابة وظروفهم وأدبهم في حضرة النبوة، كما أراد تعزيز روح الأدب والثقافة اللغوية بين الناس من الإتيان بمثل تلك الشواهد التي كان الفقه روحاً وأساساً لها، وإلا ما كان هذا جواب العباس.

وروى ابن الجوزي عن معاوية لما قدم حاجاً ((تلقتَه قريش بوادي القرى، وتلقته الأنصار بأجزاء المدينة، فقال لهم: ما منعكم أن تلقوني حيث تلقتني قريش؟ قالوا: لم يكن دواب، قال: فأين النواضح؟ قالوا: أنضيناها يوم بدر في طلب أبي سفيان)) وفي هذه الرواية يتضح اعتزاز الأنصار لمواقفهم في الإسلام وفي المقابل الاستهزاء والتهكم من معاوية حيث قالوا له: عقرنا في طلبك وطلب أبيك في بدر^(٢)، يشير هذا الخبر إلى أمرين من العبادات (الحج والجهاد) والثانية أتت من ذكر معركة بدر، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾^(٣)،

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥٨.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(١)، وثمة ذكر آخر لمعركة بدر: ((قال رجل لأبي الأسود الدؤلي: أشهد معاوية بديراً؟ فقال: نعم، من ذاك الجانب))^(٢). أي كان من جانب المشركين .

ويمكن القول: لم تكن الأخبار التي وضعت في الكتاب عن عفو خاطر من ابن الجوزي، وإنما يغلب الظن من البحث والتدقيق في مرجعيات الكتاب أن الأخبار قد وضعها عن دراسة وعناية وفهم عميق لمرادها وما فيها من شخصيات ودلالات وحكم وغير ذلك.

وأورد أيضاً ابن الجوزي عن أبي هريرة أنه قال: ((لا يزال العبد في صلاة مالم يُحدث فقال رجل من القوم أعجمي: ما الحدث يا أبا هريرة...))^(٣)، ففي الخبر السابق مرجعيات عبادية فقهية عدة، منها الصلاة والطهارة بذكر نواقض الوضوء وفي الخبر كلمة (عبد) التي ترسخ أو تذكر على الأقل بمعنى العبودية لتكون كذلك العبادة لله تعالى أحد الركائز التي بني عليها الخبر السابق.

وكذلك أيضاً وردت كلمة (فقه) في هذا الخبر عن الشعبي، قال فيه عبد الله بن عياش ، قال : جلس الشعبي على باب داره ذات يوم فمر به رجلٌ ، فقال : أصلحك الله : اني كنت أصلي فأدخلت أصبعي في أنفي ، فخرج عليها دمٌ فما ترى : أحتجم أم أفتصد؟

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٩.

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٤ .

فرفع الشعبي يديه وقال : ((الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجة))^(١)، فكانت مثل هذه الكلمة (فقه) أو حتى كلمة (عبد) من الإشارات الطفيفة على حضور هذه المسألة (الفقه والعبادة) في ذهن ابن الجوزي في أثناء كتابه أخبار الكتاب.

وبالفعل كانت هذه المرجعية هي المرجعية الدينية ذات النصيب الأكبر في الكتاب، ومن ذلك مثلاً ما جاء عن سؤال أحدهم الشعبي عن المسح على اللحية في الوضوء ((فقال: خللها بأصابعك، فقال: أخاف أن لا تبلها! فقال: فانقعها من أول الليل))^(٢)، وفيه إشارة ظاهرة إلى سنة تخليل اللحية بالماء أثناء الوضوء، وأن على الماء أن يصيب الجلد ليتم الوضوء.

وقال شريك: ((سمعت الأعمش يقول: إذا كان عن يسارك ثقل وأنت في الصلاة فتسليمه عن اليمين تجزئك))^(٣) ، وفي هذا الخبر تنويه إلى سنة التسليم في الصلاة عن اليمين فحسب، وهي كافية والتسليم على اليسار سنة ليست من شروط الصلاة أو أركانها، لكنها سنة ثابتة عن الرسول ﷺ، ومن أمثلة ذلك في كتاب دراستنا:

((ودخل أبو حازم المسجد، فوسوس له الشيطان أنك قد أحدثت بعد وضوئك فقال: أو بلغ هذا من نصحك؟!))^(٤)، وأيضا الحديث هنا عن نواقض الوضوء وأبو حازم، كما هو

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦١.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦٢.

(٣) المصدر نفسه : ٦٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٧٠.

ظاهر من الخبر، يعلم أن من الواجب إذا شك أحدهم بوضوئه فعليه أن يتوضأ، وهذا من فقه الرجل، وليس من الحرج أن يعيد المرء وضوءه وإن كان على وضوء، فلذلك رد أبو حازم على تلك الوسوسة بظرف وذكاء وردّها بأنها نصيحة وليست وسوسة.

وأما عن الخبر الذي يشير إلى فتنة خلق القرآن، فهو ((عن أبي دؤاد الحارث والذي قد امتحن ابن مسكين أيام المحنة فقال له: اشهد أن القرآن مخلوق، فقال الحارث: أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربعة، وقال: التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، فتخلص))^(١).

وثمة من بعض الأخبار في الكتاب فقهية عبادية دون غير، كما في الخبر المروي ((قال يموت: قال: كان أبي والجماز يمشيان وأنا خلفهما فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه فيصلي معه، فلما رأنا أقام الصلاة مبادرا فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول الله ﷺ نهى أن يتلقى بالجلب^(٢)))^(٣)، قال فيه وفي هذا الخبر عن أبي الحسن بن المتيم، الذي تولع برجل يعرف بأبي عبد الله إلكيا قال: ((فلقيته في شارع الرصافة، فسلمت عليه، فسلمت عليه وصحت به: لتشهد علي، فاجتمع الناس علينا، فقال: بماذا؟ فقال: إن الله تعالى إله واحد لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق والساعة

(١) أخبار الظراف والمتماجنين : ٧٥.

(٢) الجلب: التجار الجالبون للبضاعة، ينظر: لسان العرب: مادة (جلب): ٢٧٣/١.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين : ٨٤.

آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فقال أبشر يا أبا الحسين سقطت عنك الجزية))^(١).

الشاهد في هذا الخبر آخره، فكانت (الجزية) ختام الموقف وجزالة المشهد، وبها انتهى الموقف بالضحك وحسن الكلام والهزل، والجزية معروفة هي من أحكام الإسلام وقت الجهاد على من قبل بحكم الإسلام وصار تحت رايته، فكانت هي أيضا حاضرة كأحد المواضيع التي ذكرها ابن الجوزي، ولا يمكن التغافل عن أن ابن الجوزي قد كان مدركاً تماماً لكل ما يورد ولكل ما في الخبر، فقد قال عن حكايات الظرفاء: ((فأحببتُ أن أذكرَ منها طرفاً))^(٢).

فقد ذكر (منها) ولم يذكرها كلها، لغاية الانتقاء وحسن الاختيار لكتابه، ومن ذكر النسك والأضحية أورد ابن الجوزي هذا الخبر: ((ضحى فضل الوالي عن امرأته ستين سنة، فسمع يوماً محدثاً يحدث، يقول: يُحشر الناس يوم القيامة وبين أيديهم ضحاياهم فقال: إن كان كما تقول فإن امرأتي تحشر يوم القيامة راعية بعصاوين))^(٣).

ولمّا كان حفّ الشارب وإعفاء اللحية سنّة أمر بها رسول الله ﷺ، أخذ أحد الولاة من قص اللحية عقوبة، ولكن في هذا الخبر الآتي يستحسن من تُحلق لحيته هذه العقوبة، وكذلك يذكر ابن الجوزي مسألة حف الشارب في أحد أخباره، فعن حلق اللحية قال:

(١) المصدر نفسه: ٩٥.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٨.

((وغضب عليه بعض الولاة فأمر بحلق لحيته، فقال له الحجام: افتح فمك! فقال: الأمير أمرك بحلق لحيتي أو تعلمني الزم))^(١)، وعن حف الشارب قال: ((تقدم رجل سيئ الآداب إلى حجام، قال له تقدم يابن الفاعلة وأصلح شاربتي فقال له: إن كان خطابك للناس كذا فعن قليل تستريح منه))^(٢).

وكأن ابن الجوزي قد أراد فعلاً أن يجمع طائفة من السنن والعبادات في أخباره، ومن القضايا الفقهية الحاضرة في الكتاب مسألة المهر، وتحديد المهور غير المسنونة، فقد روى في الكتاب هذا الأثر ((قال عبد الله بن مصعب، قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء عن أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي الغصة، يعني يزيد بن الحصين الحارثي^(٢)، فمن زاد ألقى الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة: ما ذاك لك، قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل قال: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٣)، فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ))^(٤).

في هذا الخبر يتضح ورود مسألة الصداق والمهر، وأن الرجل له أن يضع من الصداق ما شاء فهذه المرأة بينت عدم صواب رأي عمر، وقراره بعدم ادراكه أحكام الشريعة الإسلامية الفقهية.

(١) المصدر نفسه : ١٣٨.

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين : ١٣٦

(٣) سورة النساء , الآية : ٢٠

(٤). ينظر: أخبار الطراف والمتماجنين : ١٤٤ .

ومن ملاحاة الأخبار التي أوردها ابن الجوزي الخبر في الكتاب عن رجل وامرأته وقد دار حوار بينهما مفاده: أنها تشكر الله على جمالها ويصبر هو على دمامته وقبحه)) قال أبو الحسن المدائني : دخل عمران بن حطان على امرأته وكان قبيحاً دميماً قصيراً ، وقد تزينت ، وكانت حسناء ، فلم يتمالك أن أدام النظر إليها ، فقالت ماشأنك ؟ قال : لقد أصبحت والله جميلة ، فقالت : أبشر فأني وإياك في الجنة ، قال ومن أين علمت ؟ قالت لأنك أعطيت مثلي فشكرت ، وأبتليت بمثلك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة))^(١) الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٢).

وروى صاحب الكتاب عن أبي حنيفة ((امرأة خدعتني، أشارت إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت: احتفظ به حتى يجيء صاحبه))^(٣)، وهي من المسألة الفقهية التي تنص على الاحتفاظ بالشيء بالغ القيمة سنة كاملة حتى بجيء صاحبه، وإلا فهو له (والله أعلم)، وهذا مذهب أبي حنيفة لقوله ﷺ { : ((اعرف وكاءها وعفاصها، أو قال: وعاءها، ثم عرّفها سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأهداها إليه))^(٤).

وجمع بين الصدقة والزكاة كمرجعية فقهية ثقافية في هذا الخبر، جاء فيه: ((بكت عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت: جاوزنا وما فينا إلا من تحلّ له

(١) أخبار الطراف والمتماجنين : ١٤٤

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٣٣ .

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين : ١٥٢ .

(٤) صحيح البخاري ، حديث رقم : ٩١.

الصدقة، ومات وما فينا إلا من تجب عليه الزكاة))^(١)، فالثقافة الفقهية الظاهرة هي الفرق بين الصدقة التي هي نافلة، كناية عن سوء حالهم قبله، ووجوب الزكاة بعده، وهي كناية ثانية عن المال الفائض، والثقافة الفقهية المضمرة هي ذكر مناقب الفقيد .

ومن المسائل الفقهية الإسلامية حج البيت للمستطيع، والتلبية أحد مناسك الحج: و((مرَّ رجلٌ بمزبد وهو جالس يتفكر، فقال له: في أي شيء تتفكر؟ قال في الحج، قد عزمت عليه السنة، قال: فما أعددت له؟ قال التلبية، فما أقدر على غيرها))^(٢).

إذ ((هناك دالتان تشكلان المفهوم المحوري للتميز النقدي الأدبي، وإذا ما كانت الدلالة الصريحة مرتبطة بالشرط النحوي ووظيفتها نفعية توصيلية، في حين الدلالة الضمنية ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة))^(٣).

وهكذا يمكن القول: إن المرجعيات الدينية كان لها ذلك الحضور القوي في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين، للإمام الزاهد الناسك ابن الجوزي بكل ما احتوت من اقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والسنن والفقه والعبادة، وقد تنوعت تلك المرجعيات ، لا سيما التي مع الفقه الإسلامي لتشمل أكثر العبادات ، أو أشهرها في مختلف نواحي الفقه ومسائله، وما تقدمه من قيمة علمية متنوعة في آفاق هذا الكتاب.

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٥٣.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٣٨.

(٣) النقد الثقافي، عبد الله الغدامي: ٧١.

الفصل الثاني

المرجعية الأدبية

• المبحث الأول: المرجعية الشعرية

- أولاً: الخبر

- ثانياً: المحاكاة

- ثالثاً: الحكمة

• المبحث الثاني: المرجعيات الثانية للشعر

المبحث الأول / المرجعية النظرية

عُرِفَ النقد الأدبي أثناء مسيرته في دنيا الأدب والفن أقطاباً ثلاثة يركز مناهجه واتجاهاته عليها، وهي: (المؤلف . النص . المتلقي) وأمّا الثالث وهو (المتلقي) فإنّه المقصود في عملية الإبداع، وقد حاول النقد عدم تهميشه في الدراسات النقدية نظراً لدوره الأساس في العمل الإبداعي، ودور المتلقي في فهم مكونات العمل الفني أو الإبداعي يعتمد أساساً على مستوى ثقافته وسعة اطلاعه، فقد سمحت نظرية آيزر للمتلقي أن يتعمّق في معطيات النص الأدبي من مجموعة إجراءات تطبيقية، من خلال " الغور في بنائه العميق ومستوياته الادائية الراقية وأبعاده النصية والما وراء النصية مع إبراز أبعاد احتفائه بالمتلقي الإنسان، وإظهار دوره وتركه مسافات كبيرة أمامه للاستحالة والحوار والبحث والتواصل وربط المعطيات بالواقع المعيشي" (١).

" وهذه النظرية تسمح بإجراء استعراض كفاءة القارئ في ظل ما يقدمه هذا النص إلى تحقيق معنى مختلف ناتج عن تفاعلها انطلاقاً من فعل القراءة الذي يمثل أولى خطوات إنتاج التأثير الجمالي لدى مجموع القراء الذين يختلفون في تحديد المعنى حسب تعدد توجهاتهم الفكرية والسيوسولوجية" (٢).

(١)جماليات التلقي في السرد القرآني، بادكار لطيف الشهرودي، : ١٠.

(٢)تفسير العلام شرح عمدة الاحكام، أبو عبد الرحمن عبدالله بن عبد ، ٢٦.

ويُعدُّ المؤلف العامل الخارجي من عوامل إنتاج النص، وعليه تدور الدراسات السلوكية ، وأمّا النص فعليه تدور أكثر الدراسات النقدية، ومنها التناص والمنهج الاجتماعي والواقعية والاتجاه النفسي في الأدب وغير ذلك.

وفي كتاب اخبار الطراف والمتماجنين لابن الجوزي توجد أنواع نثرية متعددة صادرة عن مرجعيات ثقافية ، نجح في تسخيرها في تجربته الأدبية والعلمية لأداء الغرض الأدبي والاجتماعي من كتابه ولعل المرجعية الخبرية لها أبرز الحضور، ذلك لتأدية الغرض من الكتاب، وعنوانه على الأخص، ويُفرد لها في هذا الفصل فقرة وتليها مرجعيته الحكائية أو (السردية) وكلها تعود أصلاً لتصب في مرجعية حكمية عقلية أو علمية متأصلة.

أولاً: الخبر:

لم يكن المجتمع أو الوسط الذي عاش فيه ابن الجوزي هو المرجع الوحيد لأخباره بكل ما فيه من طبقات مجتمعية وعلمية وأواسط ثقافية، بل كانت المرويات التاريخية من أبرزها وأكثرها، فكانت الإسرائيليات إحدى مرجعياته الخبرية، والتاريخ الإسلامي أيضاً، كذكره معركة بدر، ولكنَّ للتاريخ شأناً منفرداً في هذا البحث، موضعه مبحث خاص لما فيه من خصوصيات وشأناً مهماً ينفرد به لما فيه من أماكن وشخصيات ووقائع ومجريات، وأيضاً كانت في كتابه (أخبار الطراف والمتماجنين) المرجعيات الاجتماعية، وكان ابن الجوزي أحياناً يذكر الخبر دون أن يشير إلى

مصدره، كما في قوله: "دخل رجل الحمام، فإذا مخنث بين يديه خطمي^(١) فقال الرجل: أعطني من هذا قليلاً، فأبى، فقال الرجل: كل قفيز بدرهم، فقال المخنث: كل أربعة أفقرة بدرهم، احسب حسابك، كم يصيبك بلا شيء".^(٢)

وأحيانا ثانية كان يورد الخبر مبنياً للمجهول دون ذكر السند الخبري أو الإخباري، كما في قوله: "وقيل لأبي العيناء^(٣): بقي من يُلقي؟ قال: نعم! في البئر".^(٤)

ويذكر ابن الجوزي خبر خروج أبي العيناء من البصرة عنه نفسه، قال: ((قال علي بن سليمان الأخفش: سمعت أبا العيناء يقول: كنت يوما في الوراقين، إذ رأيت مناديا مغفلا، في يده مصحف مخلق الأداة، فقلت له: نادِ عليه بالبراءة مما فيه، وأنا أعني أدواته، فأقبل ينادي بذلك، فاجتمع أهل السوق والمارة على المنادي، وقالوا له: يا عدو الله! تنادي على المصحف بالبراءة مما فيه.

قال: وأوقعوا به، فقال لهم: ذلك الرجل القاعد أمرني بذلك فتركوا المنادي، وأقبلوا علي، ورفعوني إلى الوالي، وكتب في أمري إلى السلطان، فأمر بحملي، فحُمِلْتُ

(١) الخطم : نبات مثل الصابون حاشية الكتاب: ١٣٣.

(٢) أخبار الظراف والمتاجنين: ١٣٣.

(٣) وأبو العيناء هو "العلامة الإخباري محمد بن قاسم بن خالد البصري الضرير النديم، وأخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد وأبي عاصم النيل والأصمعي... توفي عام ٢٨٣هـ.. فقد ذكر ابن الجوزي المسؤول وكيف أجاب، لكن بقي السؤال عن سند الخبر ومن السائل؟ سير اعلام النبلاء : ٣٦٢٤

(٤) المصدر نفسه: ٩٠.

مستوثقاً مني، واتصل خبري بابن أبي دؤاد، فلم يزل يتلطف في أمري حتى خلّصني^(١).

وهنا لا يذكر ابن الجوزي سنداً لهذا الخبر، مما يرجح أنه قد سمع منه، فيكون على ذلك السند أبو العيّن نفسه ولكن هذا المنهج في عدم ذكر السند أو البناء للمجهول أو الاكتفاء بكلمة (قال) دون (سمعت) ليس المنهج الكامل لابن الجوزي في نقل أخباره وتدوينها، بل كان أيضاً يصرح بالسند وبالمصدر، وتارةً كان لا يصرح لا بالسند ولا غيره، بل كان يترك سنده مبهماً، كما في الخبر الآتي:

"تقدم رجل سيئ الأدب إلى حمام، فقال له: تقدم يا ابن الفاعلة واصلح شاربي، فقال له: إن كان خطابك للناس كذا فعن قريب تستريح منه." ^(٢)

فليس من الواضح من ذاك الرجل؟ ولا من ذاك الحمام؟ ولا من نقل الخبر؟ وعلى هذا يمكن استنتاج أن الخبر قد وقع في زمانه أثناء حياته في مجتمعه، وليس هذا مؤكداً ولكن على سبيل الترجيح يمكن عدّ أن المرجعية الخبرية لهذا الخبر وما شابهه كانت من مخالطته المجتمع والناس، وهذا الترجيح له دليل واحد هو في أنه أورده في باب (في ما يُروى عن العوام).

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٩٠

(٢) المصدر نفسه: ١٣٦.

وعن إتيانه بالسند مع شيء من الإبهام قوله: عن أبي القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه أن شريحاً خرج من عند زياد وهو مريض، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولاً، فقال: كيف تركت الأمير؟ فقال: تركته يأمر وينهى، قال: يأمر بالوصية وينهى عن النياحة". (١)

أمّا الإبهام في السند هو قوله: (عن غير واحد من شيوخه) فهو لم يذكر اسم الشيوخ، ففي عدم ذكرهم شيء من الإبهام في مرجعية الخبر، لكنه ذكر اسم راوي الخبر الأول وهو أبو القاسم السلمي، وهو: "أبو القاسم يحيى بن علي بن زهير السلمي الشاهد المحتسب من أهل دمشق، شيخ صالح من أهل الخير والصلاح، توفي ليلة الثلاثاء الثالثة من شهر رمضان سنة ٥٤٢هـ". (٢)

وكان ابن الجوزي عندما يذكر خبراً عن أحد العلماء يتبعه بخبر آخر وآخر عنه كما نقل عن الشعبي مثلاً وليس حصراً، والشعبي، وهو: "عامر بن شرحبيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، الإمام علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، توفي عام ١٠٤هـ". (٣)

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٠.

(٢) موسوعة رواة الحديث، ترجمة رقم: ٨٧٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢١٠٠.

وقد نقل ابن الجوزي عن الشعبي أخباراً ثمانية متسلسلة أولها: "روى عامر الشعبي يوماً: أن النبي (ﷺ) قال: (تَسَحَّرُوا، وَلَوْ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ عَلَى التُّرَابِ ثُمَّ يَضَعُهُ فِيهِ) فقال رجل: أي الأصابع؟ فتناول الشعبي إبهام رجله، وقال: هذه"^(١). ولعل الشعبي أراد أن يظهر عدم صحة هذا الحديث من استعماله أسلوب التهكم والظرافة. ولكن ابن الجوزي لما ذكر هذا الخبر اكتفى بذكره كما هو دون تعليق منه على صحة الحديث أو ضعفه أو أن يكون الحديث لا أصل له.

ولم تقتصر المرجعيات الخيرية عند ابن الجوزي في كتابه أخبار الظراف والمتماجنين على الصحابة أو الأنبياء، ولكنه يروى أيضاً عن الأئمة والأدباء، وفي هذا الخبر يذكر السيناني^(٢) مع الإمام أبي حنيفة النعمان والأعمش الإمام المحدث، محدث الكوفة وشيخ المقرئين، وقد رأى أنس بن مالك وحكى عنه، وقيل كان مدلساً على إمامته، توفي عام ١٤٧هـ^(٣).

وعلى هذا يكون ابن الجوزي قد اعتمد في سند خبره على رجل مجهول واثنين من الثقات، جاء في الخبر: "قال السيناني: دخل مع أبي حنيفة على الأعمش، فقال:

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦١.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٩٢٤.

يا أبا محمد! لولا أنني أكره أن أثقل عليك لزدت في عيادتك، فقال له الأعمش: إنك تنقل عليّ وأنت في بيتك، فكيف إذا دخلت عليّ؟^(١)

وندى كلمة (قال) في أغلب أخبار ابن الجوزي، دون (سمعت) أو (حدثني) أو (حدثنا) أو (أخبرنا)، وثمة من العلماء من رجح في القوة بين هذه الألفاظ مثل الإمام مسلم، محدثي أقوى من حدثنا، وسمعت أقوى منها، ويمكن اعتبار أن كلمة (قال) مشتملة على (سمعت) وغيرها، لكن ابن الجوزي اعتمد غالبا (قال) دون حدثنا أو حدثني، وما دام اعتمد (قال) فهي مثل (سمعت) فابن الجوزي يؤكد صحة الخبر ولم يترك أدنى شك للقارئ بصحة الخبر، لكون ابن الجوزي ثقة، ولتدوينه السند ما استطاع مع توكيده بـ (قال).^(٢)

ومن توخيه الدقة في انتقاء ألفاظه، مثلا ما جاء في الخبر الآتي: قال عثمان بن سعيد الرازي^(٣) حدثني الثقة من أصحابنا، قال لما مات بشر المريسي لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد.^(٤)

وقد يروى ابن الجوزي الخبر معنعناً، وهو الذي فيه عن: "المعنعن والمأنان يمران بشرطين الأول: سلامة المعنعن من التدليس، والثاني: إمكان اللقي والمعاصرة،

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، حسن الزهيري أبو الأشبال، دروس مكتوبة ومسجلة موقع الشبكة الإسلامية، (المكتبة الشاملة) ١٨/٧٤. وينظر التقريب والتيسير، النووي، ٥٤.

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٧٠.

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب (الدرامي): نقلا من حاشية الكتاب أخبار الطراف: ٧٠.

كأن تقول مثلاً: الأعمش عن أنس عن النبي (ﷺ)، فهذا لم يتوافر فيه الشرطان، لأن الأعمش معاصر لأنس، ولكن لو جئنا للتطبيق فإن الأعمش مدلس، ونحن اشترطنا سلامة التدليس" (١).

ومما رواه ابن الجوزي في المعنعن، قوله: "عن عبد الرزاق عن أبيه أن حَجْرًا المدري أمره محمد بن يوسف أن يلعن علياً، فقال: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه، لعنة الله قال فعماها على أهل المسجد. فما فطن لها إلا رجل واحد". (٢)

وحَجْر المدري هو حَجْر بن قيس المدري من خدمة علي (عليه السلام)، ويقصد بمحمد بن يوسف، أخا الحجاج بن يوسف الثقفي، والذي كان والياً على اليمن. (٣)

وبالخلاصة كان الخبر محط أنظار ابن الجوزي، فقد اعتمد الخبر الصحيح الذي يثق بصحته عن راويه الأصلي، وقد تعددت المرجعية ما بين العوام والخواص وخواص الخواص.

وأما عن المرجعية الخبرية عما يروى عن الأنبياء (ﷺ) فقد كانت متنوعة فمنها ما يعتمد على حديث نبوي رواه أحد الصحابة كأبي هريرة أو ما كان في الإسرائيليات،

(١) شرح البيهقي، محمد حسن عبد الغفار، دروس مكتوبة ومسجلة صوتياً، المكتبة الشاملة: ٤/٩

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين: ٧١. والرواية في المستدرک برقم: ٣٤١٧.

(٣) مستدرک الحاكم حديث ٣٤١٧، صفحة: ١٠٤.

ولم يروِ ابن الجوزي عن الأنبياء كلهم، بل ذكر خبرين عن سليمان (عليه السلام) وخمسة أخبار عن محمد رسول الله (ﷺ).

وأما عن الأخبار الخمسة التي أوردها ابن الجوزي عن رسول الله (ﷺ)، فكانت على التسلسل (عن أبي هريرة، قال محمد بن إسحاق، قال الحسن البصري، قال خوات بن جبير، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو).

وأول خبر "عن أبي هريرة، قال: قال رجل يا رسول الله! إن لي جارا يؤذيني، فقال انطلق، فأخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ فقال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي (ﷺ)، فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فاجعلوا يقولون: اللهم اللعنة، اللهم اخزه، فبلغه، فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك". (١)

وقد روى هذا الخبر البيهقي في شعب الإيمان: "أخبرنا علي بن محمد بن علي المقرئ، قال أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، قال حدثنا نصر بن علي، قال حدثنا صفوان بن عيسى عن أبي عجلان عن أبيه، عن أبي هريرة أن رجلا جاء إلى النبي (ﷺ) يشكو جاره، فقال له النبي (ﷺ) (اصبر)، ثم أتاه الثانية يشكو.. والثالثة... ثم أتاه الرابعة يشكو... الحديث". (٢)

(١) أخبار الظراف والمتماجين: ٤٧. ٤٨.

(٢) الجامع لشعب الإيمان، حديث رقم: ٩١٠٠.

فقد أسقط ابن الجوزي إذن السند في الحديث، ما عدا أبا هريرة، كما لم يذكر أن الرجل أتاه ثلاث مرات يشكو والرابعة أمره أن يخرج متاعه، فكان الخبر عن ابن الجوزي مختصراً في السند والمتن.

والخبر الثاني: الذي روي عن محمد بن السحاق^(١) وقد ذكر سابقاً في المرجعية الدينية و محمد بن إسحاق هو: " محمد بن إسحاق بن يسار الإخباري، وقيل ابن كوثان العلامة الحافظ، أبو بكر وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك بالمدينة و سعيد بن المسيب، وحدث عن أبيه وعمه موسى بن يسار، وسعيد بن المقبري وأبي سفيان طلحة بن نافع وغيرهم، توفي سنة ١٥١هـ. (٢)

وروى الخبر الثالث عن الحسن البصري، جاء في الخبر: " جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) قد قتل حميماً له فقال له: أتأخذ الدية؟ قال: لا، قال: افتعفو؟ قال: لا، قال: اذهب فاقتله، فلما جاوزه، قال رسول الله (ﷺ): إن قتله فهو مثله، فأخبر الرجل، فتركه (٣). قال ابن قتيبة: لم يرد أنه مثله في المأثم، إنما أراد أن هذا قاتل وهذا قاتل، إلا أن الأول ظالم والثاني مقتص."

١ (محمد بن السحاق بن يسار : سير الاعلام: ٢٣١٤

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢٣١٤.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين: ٥٠. ينظر سير اعلام النبلاء : ٣١٤/ ٥

والخبر الثالث عن خوات بن جبير، خبر طويل جاء فيه: " قال خوات بن جبير: نزلت مع رسول الله (ﷺ) مر الظهران، فخرجت من خبائي، فإذا نسوة يتحدثن فأعجبني فرجعت، فأخرجت حلة لي من عييتي فلبستها، ثم جلست إليهن، وخرج رسول الله (ﷺ) من قبته، فقال: أبا عبد الله ما يجلسك إليهن؟ قال: فهبت رسول الله (ﷺ)، فقلت: يا رسول الله! جمل لي شروء، أبتغي له قيدا....". (١)

كذلك ذكر ابن الجوزي الخبر الاتي :- عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه، قال: " كان بالمدينة رجل يقال له: نعيمان، وكان لا يدخل المدينة طرفه إلا اشترى منها، ثم جاء بها إلى النبي (ﷺ)، فقال: يا رسول الله! هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه، فطالب نعيمان بثمنه، جاء به إلى النبي (ﷺ)، فقال يا رسول الله! أعط هذا ثمن متاعه، فيقول رسول الله (ﷺ) أولم تهده لي؟ فيقول: يا رسول الله! والله لم يكن عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله، فيضحك رسول الله (ﷺ)، ويأمر لصاحبه بثمنه". (٢)

فإذا كانت المرجعية الخبرية التي اعتمدها ابن الجوزي عن رسول الله (ﷺ) من الثقات أو من الصحاح، وهذه الأخبار أو الروايات كانت من مشاهير الأخبار النبوية التي احتوت على بلاغة الإجابة وبلاغة التصرف والحكمة عنه (ﷺ). و"أبو بكر بن

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٤٨ . ٤٩ .

(٢) و"خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك وهو أمرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، أخو عبد الله بن جبير العقبي البصري الذي كان أمير الرماة يوم أحد توفي في المدينة سنة أربعين للهجرة". .. بنظر سير اعلام النبلاء : ١٦٣٩ :

محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوزان الأنصاري الخزرجي البخاري المدني، أمير المدينة ثم قاضي المدينة أحد الأئمة الأثبات، قيل كان أعلم أهل زمانه بالقضاء، وروى عن طائفة، وعداده في صغار التابعين،

أما الخبر الخامس فرواه عن عبد الجبار بن صيفي وهو من الفكاهة

ثانياً:

الحكاية لغة: ((كقولك حكيتُ فلاناً وحاكيتُهُ، فعلتَ مثلَ فعله، أو قُلْتَ مثلَ قوله، وحكيتُ عنه الحديثَ حكايةً، وحكوتُ عنه حديثاً في معنى حكايته فهي المشابهة ، وما احتكى ذلك في صدري، أي: ما وقع فيه ، وحاك في صدري: وقع فيها.))^(١)

أما اصطلاحاً فهي من السرد، الحكاية ((لفظ عام يدل على قصة متخيلة أو على حَدَثٍ تاريخي خاص يمكن أن يلقي ضوءاً على خفايا الأمور أو على نفسية البشر كما يدل على أي سرد منسوب الى راوٍ))^٢

وقد تنوعت المرجعيات الحكائية في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي بتنوع أبواب الكتاب، ففي الباب الأول القسم الأول في ما يروى عن الأنبياء (ﷺ) ، كانت المرجعية الدينية من الحديث والأثر المرجعية الوحيدة فيه، وكذلك في ما يروى عن الصحابة، في حين كانت المرجعية الأدبية هي الحاضرة في نقل الأخبار

(١) لسان العرب: ١٤/١٩١. (مادة حكى)

(٢) معجم المصطلحات في اللغة والادب: ١٥٢

عن الأدباء والنحاة والحكماء والعلماء، كالأصمعي والمبرد وأبي حنيفة والجاحظ وغيرهم ممن هم أقل شهرة، وكانت المرجعية الاجتماعية أو المعيشية حاضرة أيضا في روايته عن العوام رجالاً ونساءً وصبياناً.

وقد حكى ابن الجوزي في هذا الخبر عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: "عن زيد بن أسلم عن أبيه: قال: وفدت على عمر بن الخطاب حل من اليمن فقسمها بين الناس، فرأى بها حلة رديئة، فقال: كيف أصنع بها؟ إن أعطيتها أحدا لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها، فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه، فأخرج طرفها ووضع الحل بين يديه، فجعل يقسم بين الناس، فدخل الزبير بن العوام، وهو على تلك الحال، قال: فجعل ينظر إلى تلك الحلة، فقال: ما هذه الحلة؟ قال عمر: دع هذه عنك، قال: ما هي ما شأنها؟ قال: دع هذه عنك، قال: فأعطينيها، قال: إنك لا ترضاها، قال: بلى! قد رضىتها، فلما توثق منه واشترط عليه أن يقبلها ولا يردّها، رمى بها إليه، فلما أخذها الزبير ونظر إليها، فإذا هي رديئة، فقال لا أريدها، فقال عمر: أيها، قد فرغت منها، فأجازه عليها، وأبى أن يقبلها منه"^(١).

ففي هذا الخبر الحكائي كانت المرجعية الأثرية عن الصحابة واجهة للخبر، وهي بالمطلق مرجعية مشتركة بين التاريخ الاجتماعي والتاريخ الديني، لأنه يذكر

(١) اخبار الطراف والمتماجنين، ٥١-٥٢ والخبر نفسه في أخبار الأنكباء لابن الجوزي في الباب الثامن، الخبر رقم: ٥

شخصيات دينية، وهم الصحابة، وهي أيضا مرجعية ذات خلفية قصصية واقعية نقلت فعل الحدث حرفيا، ولها مدلول هو إظهار ذكاء المروي عنه.

الزبير بن العوام، استطاع بذكائه التخلص من ذلك الشيء الردي الذي وقع بين يديه، وكان من اللازم عليه توزيعه، وهي بضاعة لن يقبلها أحد لرداءتها، ودل الخبر على حسن الطرف ورفعة الأدب، وبراعة التصرف، ومن ذات المرجعية الحكائية الأثرية عن عمر أيضا، " عن أسامة بن زيد، عن أبيه، عن جده، قال: كان عمر بن الخطاب يعد للناس خرقا وخيوطا، فإذا أعطى الرجل عطاءه في يده، أعطاه خرقه وخيطا، وقال له: اربط ذهبك، وأصلح مويلك، فإنك لا تدري كم يدوم هذا لك، فأدخل عليه رجل يقاد، فأعطاه فكأنه استقله، فقال عمر لقائده^(١). اخرج به فخرج به ففرشها، ثم دعاه، فقال: خذ هذه كلها، فجمعها، وخرج فرحا. (٢)

يدل الخبران السابقان على أن الثقافة الإسلامية كانت مشربا ومنبعاً للحكاية في الكتاب، كما يدل على ذلك غيرهما من الأخبار والحكايات، لا سيما القسم الثاني من الكتاب (فيما يروى عن الصحابة) فكانت بعض الحكايات أو الأخبار تتضمن آيات قرآنية، كما في الاخبار التي أوردناها في مبحث المرجعية القرآنية من الفصل الاول.

(١) أي: هو رجل أعمى ويقوده، رجل آخر

(٢) أخبار الظراف والمتماجين: ٥١ . ٥٢

وكذلك مما يدل على تأصل الثقافة الإسلامية كمرجعية ثقافية حكاية أن ابن الجوزي كان ينتقي الأخبار التي فيها أحاديث نبوية أحيانا، كما في هذا الخبر: "روى سعيد المقبري، عن أبي هريرة، أنه قال: ((لا يزال العبد في صلاة ما لم يحدث))" (١) فقال رجل من القوم أعجمي: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: الصوت، قال: وما الصوت؟ فجعل أبو هريرة يضرب في فيه حتى أفهمه". (٢)

والمرجعية الثقافية متنوعة، ومتداخلة أحيانا، وهذا التداخل يحصل نتيجة اتصال بين أشكال الثقافات، كالقراءة، والرحلات، والسماع والمثاقفة، والعمق التاريخي، والوعي وغيره فيصل الكاتب أحيانا إلى مرحلة الشد والجذب، ولكن ابن الجوزي، وعلى سعة علمه واطلاعه، بقي محافظا على الهوية العربية الإسلامية في أخبار الظراف والمتماجنين دون أن ينجذب إلى الأعاجم أو غيرهم من الأمم، ودون أن يذكر أخبارا عن علمائهم وحكمائهم وفلاسفتهم وغير ذلك، ودون شك كان هذا المجال واسعا أمامه ما عدا مقولة واحدة قد أوردها عن جالينوس على لسان الأعمش، قال: "قال الأعمش: وقال جالينوس: لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقل". (٣)

وكانت حكايات العرب حاضرة كمرجعية سردية حكاية لدى ابن الجوزي، فمثلا هو يروي عن الأعمش، قال: "قال سعيد الوراق: كان للأعمش جار، كان لا

(١) ((الحديث في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني برقم (٧٦٩٠) وهو: (لا يزال العبد في صلاة ما دام في المسجد ينتظر الصلاة ما لم يحدث

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين، ٥٩

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦٢.

يزال يعرض عليه المنزل، فيقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً؟ فيأبى عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم، فوافق جوع الأعمش، فقال: مر بنا، مدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً، إذ سئل سائل، فقال له: رب المنزل: بورك فيك، فأعاد عليه المسألة، فقال له: بورك فيك، فلما سأل الثالثة، قال له: اذهب، وإلا والله خرجت إليك بالعصا! قال: فناداه الأعمش: اذهب ويحك! لا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيداً منه، هو منذ سنة يعدني بكسرة وملح، ولا والله ما زادني عليهما". (١)

فكانت إجابة الأعمش طرفة ومدحاً بصيغة الذم، فهو في الظاهر يمدح جاره بصدق مواعيده، ولكنه في الحقيقة يظهر بخله.

فهذه الحكاية السردية عن الأعمش وجاره أشارت . كما أشار غيرها . إلى ميول ومحبة ابن الجوزي لأن يذكر أخبار أدباء وحكمائهم العرب وما كان منهم من حسن إجابة وفن للرد، واستيعاب الموقف وطرافة، ومن هذا أيضاً ما ذكره ابن الجوزي عن الأعمش أيضاً في رده على من دعاه ثم رده بسبب ملابسه، فكان منه أن رد بطريقة طريفة لافطة، لا تخلو من أسلوب السخرية، جاء في الخبر: "قال جرير: دعي الأعمش إلى عرس، فنشر فروته، ثم جاء فردّه الحاجب، فَرَجَعَ فلبس قميصاً وإزاراً، وجاء فلما

(١) أخبار الظراف والمتماجين: ٦٤.

رآه الحاجب أذن له، فدخل، وجأؤوا بالمائدة، فبسط كفه على المائدة، وقال: كل! فإنما أنت دعيت ليس أنا، وقام ولم يأكل". (١)

كذلك أراد ابن الجوزي إظهار فن الرد من هذه الحكاية القصيرة التي استلهمها من أدباء العرب. فالخبر أزغر وحدة حكائية، والحكاية تراكم لمجموعة من الاخبار المتصلة وكلاهما يتركزان بشكل خاص حول احداث معينة. (٢)

ومن الحكايات، مثلاً: "قال السلامي الشاعر: دخلت على عضد الدولة فمدحته، فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير، وبين يديه جام، فرآني ألحظه، فرمى به إليّ، وقال: خذه، فقلت: وكل خير عندنا من عنده، فقال عضد الدولة: ذاك أبوك، فبقيت متحيراً لا أدري ما أراد، فجئت أستاذاً لي، فشرحت له الحال، فقال: ويحك! قد أخطأت خطيئة عظيمة، لأن هذه الكلمة لأبي نواس، يصف كلباً حيث يقول: (الرجز)

أَنَعْتُ كَلْباً أَهْلُهُ فِي كَدِّهِ قَدْ سَعِدَتْ جُدُودُهُمْ بِجَدِّهِ

وَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ (٣)

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٦ . ٦٧.

(٢) ينظر: الكلام والخبر: سعيد يقطين: ١٩٥.

(٣) أخبار الطراف، ٨٣ وينظر: ديوان أبي نؤاس: حققة وضبطة وشرحة احمد عبدالمجيد الغزي: ٦٤.

قال: فعدت متشجاً بكساء، ووقفت بين يدي الملك أرعد، فقال: مالك؟ قلت: حُيِّمت الساعة، قال: هل تعرف بسبب حماك؟ نظرت في شعر أبي نواس فحمت، قال: لا تخف لا بأس عليك من هذه الحمى، فسجدت له، وانصرفت".^(١)

فالسلامي الشاعر توفي سنة: ٣٣٦هـ^(٢)، وعُضد الدولة^(٣) هو أبو شجاع فنا خسرو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، توفي سنة: ٣٧٢هـ^(٤)، وعلى هذا فالحكاية من التاريخ العباسي، تحديداً في زمان المتتبي، وسنة وفاة ابن الجوزي ٥٩٧هـ، فهو يرجع في هذا الخبر ما يزيد عن مائتي عام في التاريخ، فمرجعيتة السردية تاريخية، لذكر عضد الدولة وهو من الشخصيات التاريخية، بينما عندما ذكر ابن الجوزي سليمان النبي (ﷺ) لا يعد هذا البحث أنها مرجعية تاريخية، لأنه ليس من الشخصيات التاريخية، بل الدينية، وكذلك الصحابة ولكن في هذا الخبر يذكر ابن الجوزي جريراً الشاعر، وهو من الشخصيات الأدبية في العصر الأموي، فليست المرجعية تاريخية للخبر السردية، بل أدبية، قال: "عن جرير، قال: جئت الأعمش يوماً، فوجدته قاعداً في ناحيته، وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء

(١) المصدر نفسه: ٨٣.

(٢) الشاعر السلامي: أبو الحسن محمد بن عبد الله، أشهر شعراء العراق وسمي بالسلامي نسبة الى دار

السلام بغداد: ينظر وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٤٠٩

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٥٠/١٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢١/٣٦٦.

رجل عليه سواد فرأى الأعمش وعليه فروة، فقال: قم عبرني هذا الخليج، وجذب بيده، فأقامه وركبه وقال: ﴿سبحانَ الذي سخر لنا هذا وما كنا له مُقرنين﴾^(١).

فمضى به الأعمش حتّى توسط الخليج ثم رمى به، وقال: ﴿وقل ربّي أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾^(٢) ثم خرج وتركه يتخبط في الماء^(٣) فهذه الحكاية بكل ما تحتوي من آيات كريمة، وفكاهة فإن مرجعياتها السردية أو الحكائية أدبية على الرغم من عدم وجود شيء من الأدب كالشعر فيها، لكن فيها جرير الشاعر الأموي المعروف.

ومن الحكايات ذات المرجعية التاريخية في الكتاب ما رواه ابن الجوزي عن المأمون، قال: "دخل حميد الطوسي على المأمون وعنده بشر المربسي، فقال المأمون لحميد: أتدري من هذا؟ قال: لا! قال هذا بشر المرسى، فقال حميد: يا أمر المؤمنين! هذا سيد الفقهاء، هذا قد رفع عذاب القبر ومسألة منكر ونكير، والميزان، والصراط، انظر هل يقدر أن يرفع الموت فيكون سيد الفقهاء حقاً؟!"^(٤).

وكذلك من الحكايات ذات المرجعية التاريخية هذا الخبر عما كان بين عمرو ابن العاص وأحد جنده، جاء فيه: "منع عَمْرُ بن العاص أصحابه ما كان يصل إليهم، فقام إليه رجل، فقال له: اتخذ جنداً من الحجارة لا تأكل ولا تشرب، فقال له عمرو:

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣ .

(٢) [سورة المؤمنون، الآية: ٢٩]

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٣.

(٤) أخبار الطراف والمتماجنين: ٩٣.

اخساً أيها الكلب، فقال له الرجل: أنا من جُندك فإن كنت كلباً، فأنت أمير الكلاب وقائدها". (١)

ولعلَّ الضرورة الفنية استدعت من ابن الجوزي أن ينوع في مرجعياته السردية الحكائية في أخباره التي أوردتها، فهذه الضرورة أخذته لاستدعاء أسماء وشخصيات تاريخية وسياسية لها اتصال مباشر بالحكم والخلافة، وهذا الاستدعاء التاريخي للمأمون قد أورده ابن الجوزي في سياق الفقه والعلم الشرعي، إشارة منه إلى أنه كان يجالس ممن هم من غير أهل السنة والجماعة، ومن هذا المنطلق وكذا من الأسلوب الساخر أو اللاذع أحياناً كان ابن الجوزي ينتقي أخباره والملاحظ في هذه الأخبار التي ضمت المرجعية التاريخية في الحكاية أو الأدبية أو العلمية أو الدينية أن المكان لم يكن يشغله، ولم يكن يعطيه تلك الأهمية، إلا ما جاء عن طيب خاطر دون قصد، كما في هذا الخبر: "قال صاحب بن عباد: جئت من دار السلطان فجراً من أمر عرض لي، فقال لي رجل: من أين أقبلت؟ فقلت: من لعنة الله فقال: رد الله عليك غربتك". (٢)

فكان ذكر المكان ضرورة لأنه في قلب الخبر ومركزه، وقد استحوذت المرجعية الاجتماعية خبراً واسعاً في أخبار ابن الجوزي وحكاياته عن العوام وعن العرب بالعموم وعن النساء والصبيان.

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٩٦.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ٩٦.

فمما يروى عن العرب قال ابن الجوزي: "مدح رجل رجلاً اسمه يسير فقال:

ومدح يسير في البلاد يسير

ف قيل له: إنه لا يعطيك شيئاً، فقال: إذا لم يعطني قلت بيدي هكذا، وضم

أصابه، يعني: إنه قليل". (١)

فلم يذكر الرواي من هو المادح ولا الممدوح، بل أبقى الأسماء مبهمة، كما أبقى

الزمان والمكان مبهمين، ولكنها من القصص الشعبية المتداولة أو مما عايشه المؤلف

وعاصره ومن هذا أيضاً: " قيل لرجل ركب في البحر: ما أعجب ما رأيت؟ قال:

سلامتي". (٢)

وهنا إشارة الخبر إلى ظرافة وحسن إجابة العرب، فمن هذا الجواب استطاع أن

يلخص كلاماً كثيراً بكلمة واحدة، وهي (سلامتي)، يقصد: أن ركوب البحر خطر،

والسفر عبره مشقة وتعب، وأن الموت فيه غرقاً قد يحصل على الأكثر والسلامة منه

قليلة نادرة، لدرجة أنها أعجب ما رأى وهذا ما يسمى بكسر افق المتوقع باجابته، وتبقى

مرجعية الخبر غامضة، لكن يمكن ترجيح أنها من المرويات في زمان المؤلف على

سبيل القص الحكمي أو الومضة النثرية، فالمرجعية في هذا الخبر وما مثله اجتماعية

(١) اخبار الظراف والمتماجنين: ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧.

ويمكن إيراد بعض الأخبار التي على الأغلب الأعم أنها من مرويات ذلك العصر،
فمثلاً: "شكا ضرير شدة العمى، فقال أعور: عندي نصف الخبر". (١)

فالرجل الأعمى لم يكن يعلم أن الذي يشكو إليه ضرره في بصره رجل أعور،
ولكن استطاع ذلك الرجل المصاب في عينه أن يلخص له المشهد بأسلوب ظريف
ظريف لا يخلو من إثارة مشاعر الحزن، فقلوه (عندي نصف الخبر) يعني: أنه يعاني
من نصف شكواه، فإذاً هو بعين واحدة، ومن الأدب الشعبي ما حكاه ابن الجوزي عن
أحد المجانين مع قوم تيم الله، قال: "دخل قوم من بني تيم الله على مجنون من بني
أسد فأكثروا العبث به، فقال لهم: يا بني تيم الله! ما أعلم قوما خيرا منكم. قالوا: كيف؟
قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري، قد قيدوني، وأنتم كلكم مجانين، وليس فيكم
مقيد". (٢)

أراد هذا المجنون ذمهم، وكان له ذلك، فقد ذمهم ورفع من شأنه قومه بعبارتين،
وقد كان هذا الخبر حكاية سردية قصيرة ذات مرجعية شعبية، ومردّها للقصاص الواقعية
الاجتماعية التي حصلت بالفعل، وتناقلها البعض، وذكرها ابن الجوزي كأحد أخباره
عن الظراف والمتماجنين، كما وصل غيره من الأخبار لغير ابن الجوزي فذكره، وحدث

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٢٧.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٠٦.

عنه، من مثل الأصمعي، اللغوي المعروف، فقد ذكر جملة من الأخبار التي تعود للمجتمع والحياة القبلية.

فذكره ابن الجوزي عن الأصمعي، قال: "قال الأصمعي: حدثني شيخ من بني العنبر، قال: أسر بنو شيبان رجلاً من بني العنبر، فقال لهم: أرسلوا إلى أهلي لينقذوني؟ قالوا: ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا، فجأؤوه برسول، فقال له: أنت قومي، فقل لهم إن الشجر قد أورك، وإن النساء قد اشتكت، ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم، أعقل، قال: فما هذا؟ وأشار بيده إلى الليل، فقال: هذا الليل، قال: أراك تعقل، انطلق، فقل لأهلي: عروا جملي الأصهب، واركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثة عن أمري، فأتاهم الرسول، فأرسلوا إلى حارثة، فقص عليهم القصة، فلما خلا معهم، قال: أما قوله: إن الشجر قد أورك، فإنه إن القوم قد تسلحوا وقوله: إن النساء قد اشتكت، يريد أنها قد اتخذت الشكاء^(١) للغزو، وهي أسقيته، وقوله: هذا الليل، يريد يأتونكم مثل الليل أو في الليل، وقوله: عروا جملي الأصهب، يريد ارتحلوا عن الصمّان^(٢)، وقوله: اركبوا ناقتي، يريد اركبوا الدهناء^(٣)، فلما قال لهم ذلك، تحولوا من مكانهم، فأتاهم القوم، فلم يجدوهم^(٤)".

(١) الشكاء، جمع شكوة، وهي وعاء من جلد للماء واللبن، لسان العرب، ٧/١٨٢.

(٢) الصمان: أرض صلبة ذات حجارة، لسان العرب، (صمن)، ٧/٤١٣.

(٣) الدهناء: الفلاة والصحراء الواسعة.

(٤) أخبار الظراف والمتماجنين: ١١٥.

فهذه الحكاية من حكايات العرب الدالة على حكمتهم وحسن استعمالهم لرموز اللغة، وهي من الأدب الشعبي القبلي، ذات المرجعية المجتمعية،

وقد ضم كتاب الظراف والمتماجنين طائفة متنوعة من أخبار العامة من الرجال والنساء والصبيان، ومن هذا ما رواه عن نساء العوام، قال: "خاصمت امرأة زوجها وقالت: طلقني! فقال: فأنت حُبلى، إذا ولدت طلقتك، فقالت: ما عليك منه! قال: فأيش تعملين به؟ قالت: أقعدُهُ باب الجنة فُقاعَى، فقالوا لعجوز: ما معنى هذا؟ قالت: تعني أنها تشرب ماء السذاب^(١)، وتتحمل به حتَّى يسقط، فيلحق بالجنة كالفقاعَى".^(٢)

وهذا خبراً وحكاية قصيرة عن إحدى نساء العوام، ذكره ابن الجوزي ليظهر براعة وبلاغة إحداهن، والخبر أيضاً مما يحكى عن العوام والمجتمع الكائن آنذاك.

وينقل ابن الجوزي عن الجاحظ خبراً عن المعتصم وعن جارية له، ليكون الخبر متعدد المرجعيات، ما بين الأدبية والبلاغية، والمرجعية السياسية لكونه يتحدث عن خبر عن الأسرة الحاكمة، وخبراً نسوياً لأنه يدور عن إحدى النسوة، قال: "قال الجاحظ: طلب المعتصم جارية كانت لمحمود الوراق وكان نخاساً، بسبعة آلاف دينار، فامتنع محمود من بيعها، فلما مات محمود اشتريت للمعتصم من ميراثه بسبع مئة دينار، فلما دخلت إليه، قال لها: كيف رأيت؟ تركتك حتَّى اشتريتك من سبعة آلاف بسبع مئة!

(١) السذاب: بقل معروف، يقال له أيضاً: الدريدان والفيجن، لسان العرب (سذب) ١٠/١٩٠.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٤٨.

قالت: أجل إذا كان الخليفة ينظر لشهوته المواريث، فإن سبعين ديناراً كثيرة في ثمني فضلا عن سبع مئة، فأخجلته" (١).

فهذه الحكاية السردية القصيرة تدل على بلاغة تلك المرأة، وحسن إجابتها، والخبر ذو مرجعية سياسية دون الأدبية أو البلاغية، في كونه آت عن بيت الخلافة آنذاك، وإن كان مصدره أدبياً معروفاً.

وعن المرجعية الشعبية في الكتاب، ما ذكره ابن الجوزي عن الأديب الأصمعي أثناء مسيرته في إحدى البوادي، قال ابن الجوزي: "قال الأصمعي: بينا أنا في بعض البوادي، إذا أنا بصبي . أو قال صبية . معه قربة قد غلبته، فيها ماء، وهو ينادي: يا أبة أدرك فاها، غلبنى فوها، لا طاقة لي بفيها، قال: فو الله قد جمع العربية في ثلاث". (٢)

وهنا كذلك تكون مرجعية هذا الخبر المحكي عن الأصمعي مرجعية شعبية، وإن كان مصدره الأصمعي، فهذا لا يعني أن المرجعية أدبية، لأنه ليس نقلاً عن أشعار العرب وأدبهم، بل هو من الشعوب والمجتمعات البدوية القبائلية، ويدل على هذا التركيب أو عبارة الأصمعي: (بينما أنا في بعض البوادي).

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٥١.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٥٧.

فقد تنوعت واختلفت مرجعيات حكايات ابن الجوزي في أقسام كتابه، ما بين الحكاية الدينية الأثرية، والتاريخية والسياسية والمجتمعية والحكايات أو القصص القصيرة الشعبية المتداولة والمرجعيات الحكائية الأدبية، وهذا التنوع والتعدد في مصادر الحكايات قد أضفى عنصر الجمال على أدب ابن الجوزي في نقله للأخبار، كما دل على أن الظرافة لا تقتصر على الأدب وعالمه، بل تتجاوزه إلى الخواص والعوام والصبيان والنساء والعامّة.

ثالثاً: الحكمة

ورد في لسان العرب الحكم ، الحكيم : هو الذي يحكم بالاشياء ويتقنها والحكم : العلم والفقه والقضاء بالعدل.(١)

ورد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) فكان من كلام العرب أنه قد يتضمن حكمة ما، أو موعظة أو أن فيه من البيان ما يسحر العقل بجمال صورته وجميل بلاغته ورفعته أدبه. (٢)

وكان ابن الجوزي يراعي البيان وروعة التأليف لا سيما في كتابيه (التبصرة والمداهش)، وكان ينتقي أخبار كتبه حتى تناسب موضوعه الذي يتحدث عنه، وهذا

(١) لسان العرب : ٢٧ / ٣

(٢) سنن أبي داود، رقم: ٥٠١١.

يظهر من التتبع والاستقراء لكتبه، وكتاب (أخبار الظراف والمتماجنين) أحد كتبه الإخبارية، من مثل (أخبار الأذكياء وأخبار الحمقى والمغفلين).

وابن الجوزي على غزير علمه في العربية وفنونها والشرعية وأحكامها كان له شغف بهذا النوع من التأليف لما له من أثر ثقافي وتاريخي، ولما فيه من حكمة لا يستغني عنها عاقل ولا قارئ، ولما لها من أثر في تطيب النفس، وهذه حكمة قد أشار إليها ابن الجوزي وقال حماد بن سلمة: لا يحب المُلح إلا ذكران الرجال ولا يكرهها إلا مؤنثوهم^(١).

وهذه الحكمة ليست غريبة عن أدب العرب، فقد أورد الجاحظ استحباب الناس للهو إن ملوا الجد، قال: "ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد"^(٢).

فهذه حكمة في الكتاب وهي استحباب استماع الملح والمضحكات بين فينة وثانية، أو حين وآخر، وهي من أغراض تأليف الكتاب، ولكن أيضا لم يغفل ابن

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٤٠.

(٢) البخلاء، الجاحظ: ٦١. (مقدمة الجاحظ).

الجوزي عن الأخذ من حكمة الأدب والذوق ف(عن أبي رزين، قال: سئل العباس أنت أكبر أم رسول الله (ﷺ)؟ قال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله)^(١).

فكان جواب العباس (عليه السلام) في قمة الأدب والتواضع أمام حضرة النبوة الشريفة، فهو لم يقل: أن أكبر منه، ولا أكبر منه سناً، بل قال: هو أكبر مني، ذلك لمعرفة بمنزلة النبي (ﷺ) وقدره العالي عند ربه عز وجل، وأجاب على سؤال السائل بالشق الثاني من كلامه: وأنا ولدت قبله.

وهذا أيضاً يتجاوز مسألة التأدب في الحديث إلى الذكاء اللغوي وفن الرد، ومن الحكم التي أوردها ابن الجوزي التي تتضمن حكمة فن الرد واستعمال الذكاء هي: "أقر رجل عند شريح، ثم ذهب لينكر، فقال له شريح: قد شهد عليك ابن أخت خالتك^(٢)" يقصد: شهدت للتو على نفسك. وهذا من براعة التصرف بأنه قد أقام الحجة عليه بأنه قد اعترف وأقر على نفسه.

وقال ابن الجوزي: "قال الهيثم بن عدي: كان أشعب مولى فاطمة بنت الحسين فأسلمته في البزازين، ف قيل له: أين بلغت معرفتك بالبز؟ فقال: أحسن النشر، وما أحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي"^(٣).

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٤.

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦١.

(٣) المصدر نفسه: ٦٩.

ومن الحكمة أن يسعى الإنسان لتعلم ما لا يعرفه أو يعلمه، وألا يعتمد على

المصادفة أو الدهر ليساعده كما قال الشاعر: (الطويل)

على المرء أن يسعى لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ وليسَ عليه أن يساعده الدهرُ^(١)

فهذا الرجل (أشعب) قد علم أن التواكل خطأ ولا بد من الأخذ بالأسباب مع التوكل،

فقال: (وأرجو أن أتعلم الطي) وهذه حكمة مردها: السعي الى ما فيه الفائدة.

ومردها إلى تطوير الذات، ومن الحكمة أيضا أن يعترف المرء بما لا يعلم،

فلا يستعجل المرء لئلا يقع في الزلل، كما قال القطامي:

(البسيط)

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزللُ^(٢)

وقد أورد ابن الجوزي بعض الحكم عن الثقلاء، وفيها أمران: أولهما فكاهاة الرد وبراعة

التكلم، والثاني: أراد منه إظهار استحباب خفة المرء بألا يثقل على غيره، ومن ذلك:

قال أحمد بن محمد عن يحيى القطان: قال لي يزيد بن هارون: أنت أثقل عندي من

نصف حجر البزر، قلت: لم لم نقل من الرحي كله؟ فقال: إنه إذا كان صحيحا تدرج،

فإذا كان نصفاً لم يرفع إلا بجهد^(٣).

(١) ينظر: المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأشبهي، ٣١.

(٢) البيت في ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ٧٤.

وهذه حكمة موجودة في كتاب الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا طُغِيَتمْ فَانْشُرُوا﴾^(١)
وقد ألف السيوطي كتابا في هذا أسماء إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء، وكان الكتاب كله
في ذم الثقل لما له من أثر سلبي في المجتمع وعلى الناس، فكانت أخبار ذلك الكتاب
قريبة مما أورده ابن الجوزي عنهم في أخبار الظراف والمتماجنين.

ومما أورده السيوطي حكمة الخفة وحسن السمات والخلق قوله: "وروي عن ابن
شهاب، قال: إذا أثقل عليك الجليس اصبر فإنها ربطة في سبيل الله فإذا أبرمك ومالك
في حديثه فجاهد بقيامه عنك أو قيامك عنه"^(٢).

فكانت هذه الثقافة إذاً حاضرة في أذهان العلماء ومنهم السيوطي وابن الجوزي
وجميع من أوردا عنهم في ذم الثقلاء، وذم هذا الخلق غير المحمود، والحكمة المرادة
هي بث حسن الخلق بين الناس في شتى المجتمعات، وبث الفضيلة، فليس التثقل
عن الآخرين حكمة، ومن الحكم التي قيلت في ذلك: "من خاف أن يكون ثقيلا فهو
خفيف، ومن أمن أن يثقل ثقل"^(٣).

(١) [سورة الأحزاب، الآية: ٥٣]

(٢) إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء السيوطي، عناية محمد بن سليمان مال الله، مكتبة لسان العرب، ط ١، ٢٠٠٩، ص: ٢٤.

(٣) إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء: ٢١. ٢٢.

وذكر ابن الجوزي هذه الحكمة القصيرة في ذم الثقلاء والتثقل، والتي تركها عقلاء العرب، قال: "قال أحمد بن أبي طاهر: قال أبو هفان، وصف رجلاً فقال: هو أنقل على القلوب من الموت على المعصية^(١)".

فالحكمة هي كما قيل: زر غباً تزدد حباً، وهو مثل عربي قديم، لعل مصدره اسم الكتاب الذي ألفه الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠ هـ)^(٢) أو لعل الناس أخذته من الحديث الصحيح عن رسول الله (ﷺ): (زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا)^(٣).

وهذا كله يدلُّ على رسوخ هذه الحكمة في الشريعة الإسلامية الواردة في كتاب الله تعالى وحديث أو سنة نبيه (ﷺ)، والواردة في أذهان علماء العرب وعقلائهم، كالسيوطي والأصبهاني وابن الجوزي.

وقد تكون الحكمة مثلاً سائراً على الألسنة كما ورد عن الأصمعي، قال: "قال أبو حاتم: أنشدنا الأصمعي:

إذا جاء يومٌ صالحٌ فاقبلنَّه فأنْتِ على يومِ الشقاءِ قديرٌ

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٧٥ . ٧٦.

(٢) كتاب مطبوع، اعتنى به طارق بن أحمد البيضاوي، دار الحديث.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، حديث رقم: ٢٥٨٣. رواه الترمذي: ٣١٨ والبخاري برقم: ٧٠٦١.

ثم قال: أتدرون من أين أخذت هذا؟ من قول العيارين: أكثر من التخم فأنت من الجوع قادر^(١).

فهذه حكمة قد سارت على الألسنة آنذاك، وكون ابن الجوزي قد أوردها في كتابه فهي ثابتة كمثال من أمثال ذلك العصر^(٢)، وعبرة (أكثر من التخم) أي: طلب الطعام والزيادة فيه، عبارة لها جذور في الذهن العربي، كما جاء في الشعر الجاهلي على لسان المزرد بن ضرار الغطفاني، قال: من (البحر الطويل)

وأيقنَ إن ماتَ بجوعٍ وخيبةٍ ... وقالَ له الشيطانُ إنكَ عائلٌ

فطوفَ في أصحابه يستثيبُهُمْ ... فأبَ وقد أكدتَ عليه المسائلُ

إلى صبيةٍ مثلِ المغاليِ وخرملٍ ... روادٌ ومنَ شرِّ النساءِ الخراملُ

فقالَ لها هلْ من طعامٍ فإنني ... أذمُّ إليكِ الناسَ أملكِ هابلُ

فقالَت نعم هذا الطويُّ وماؤه ... ومحترقٌ من حائلِ الجلدِ قاحلُ

فلما تناهتْ نفسهُ من طعامهم ... وأمسى طليحاً ما يعانيه باطلُ

تغشى يريدُ النومَ فضلَ رداءه ... واعيا على العينِ الرُقَادِ البلابلُ^(٣)

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٨٧.

(٢) ولم أجد لهذا المثل ذكرا في غير هذا الكتاب.

(٣) ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني، تحقيق خليل إبراهيم العطية، مطبعة أسد، بغداد، ط١، ١٩٦٢، ٤٨.

الواضح أن الأبيات السابقة تذكر رجلاً قد زاد على الطعام، على سبيل الذم، ولكن الفكرة ذاتها التي أوردها ابن الجوزي في ذلك المثل (أكثر من التخم فإنك على الجوع قادر) قد ترى شعرا على سبيل النصح، ومن هذا قول حاتم بن عبد الله الطائي:

اقتُلْ للجُوعِ عَنْ تِلْكَ وَلَنْ يُذْفَأَ فِيهَا بِمِثْلِكَ الصَّرْدُ^(١)

والصواب هو أن الإنسان بطبيعة الحال ليس قادرا بالمطلق على تحمل يوم الشقاء، كما أنه ليس قادرا على تحمل الجوع مثلما في الحكمة السابقة الذكر في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، فإذن عبارة (فإنك على يوم الشقاء قدير) وعبارة (فأنت على الجوع قادر) مردها إلى المجاز، والمعنى أنت لا تتحمل الشقاء ولا قادر على الجوع، فعليك أن تقبل يوم الشقاء وأن تقبل الطعام وإن كان على الزيادة في الإشباع، وهذه هي الحكمة الحقيقية المرادة، ولكن أيضا لعل المقصود بالطعام هنا هو الطعام بعينه فحسب، بل قد يكون المراد به أي شيء آخر من حوائج الإنسان.

ومما روي عن الظراف في كتاب ابن الجوزي تحمل مغازٍ ومعاني رقيقة لا تخلو من الحكمة، والناظر فيها يلتبس نصحا خفيا من المؤلف الذي لا شك أنه كان يختار أخباره بعناية فائقة، ومن ذلك هذا الخبر الذي يحمل حكمة مفادها عدم إطالة الزيارة للمريض، ولهذه الحكمة حضور في الثقافة العربية الإسلامية، قال ابن

(١) ديوان حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، اعتنى به وحققه عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ١٦٨.

الجوزي: "قال محمد بن حفص جار بشر: دخلنا على بشر بن الحارث وهو مريض، فقال له رجل: أوصني! فقال: إذا دخلت إلى مريض فلا تطل القعود عنده^(١)".

فهذه العبارة المباشرة معناها صراحة: قد أطلت القعود عندي، مما سبب لي الضيق والحر، فلا تكررهما مع غيري. وهذا أيضا تعزيز لما ذكره ابن الجوزي في ذم النقاء.

فأما عيادة المريض فهي من السنن الموصى بها فقد قال (عليه السلام): (أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني)^(٢).

ومن آداب زيارة المريض عدم الإطالة عنده حتى لا يتثقل عليه، ويستدل على هذه الحكمة من قوله (عليه السلام): (ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة)^(٣).

وقوله: (العجماء جرحها جبار) يعني الدابة المنفلتة التي قد أصابت أذى لشيء ما^(٤)، وهذا الجزء (العجماء جرحها جبار) من الحديث النبوي السابق اتخذه بعض

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٨٨.

(٢) سنن أبي داود، رقم: ٣١٠٥.

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني، رقم: ٧٧٥.

(٤) ينظر شرح النووي للحديث السابق في صحيح مسلم، برقم: ١٧١٠.

العرب حكمة أو مثلاً سائراً على الألسنة كما في الخبر الآتي الذي أورده ابن الجوزي عن أحد العلماء.

قال ابن الجوزي: " جهل رجل على بعض العلماء، فقال العالم: جرح العجماء جبار^(١)".

وفي هذا ذم لاذع، فقد قصد العالم تشبيه ذلك الجاهل بدابة قد انفلتت من صاحبها، وهي حكمة مأخوذة من الحديث النبوي الشريف، وهذا العالم كان قد عفا عن الجاهل الذي جهل عليه لعلمه بجهله، فقد أخذ بالحكمة البالغة وهي العفو والصفح المنصوص عليها في القرآن الكريم.

ومن الحكمة التي أوردها ابن الجوزي عن الثقلاء في المجالس عن سفيان الثوري الذي يذم الثقلاء ويكره النظر إليهم، قال ابن الجوزي: " قال سفيان الثوري: " ما نظرت قط إلى ثقل أو بغيض إلا كحلت عيني بماء ورد مخافة أن يكون قد التصق بها شيء^(٢)".

ما جاء في هذه الحكمة: " قال أبو حنيفة السائح: لقيت بهلول المجنون وهو يأكل في السوق، فقلت يا بهلول! تجالس جعفر بن محمد، وتأكل في السوق؟! فقال: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٠١.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٣.

(مطل الغني ظلم)^(١). ولقيني الجوع وخبزي في كمّي، فما أمكنني أماطله^(٢) فالذي كان من بهلول أنه احتج بحديث الرسول (ﷺ)، أو بجزء من الحديث ليردّ بها على سائله، وأراد بهذا الرد أنه أراد إطعام جعفر بن محمد معه، كما أراد أنه غني لامتلاكه الخبز، ولكنّ معنى الحديث: (المطل منع قضاء ما استحق أدائه)^(٣).

وكان الغرض من الرجوع إلى هذه الحكمة واستحضارها بيان الحال بأقصر الكلمات والجمال واختصار الكثير من الوقت بالقليل منه، وكذلك الإجابة ببلاغة وفصاحة لسان وبراعة أسلوب وظرافة منه في آن واحد.

وذلك يضاف إلى أنه أقام الحجة على من أنكر عليه فعله ذلك بأن أكل في السوق وصاحب جعفر بن محمد^(٤).

وقد تكون الحكمة الواردة في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين مُرتجلة كما في الآتي: "قال بكر بن عبد الله المزني: أحوج الناس إلى لكمة من دعي إلى وليمة فذهب معه بآخر، وأحوج الناس إلى لطمتين رجل دخل دار قوم فقيل له: اجلس ههنا، فقال:

(١) الحديث: مطل الغني ظلم وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع، رواه أبو داود برقم: ٣٣٤٥. ومسلم برقم: ١٥٦٤.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ٩٨.

(٣) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم، الحديث رقم: ١٥٦٤.

(٤) جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبي (ﷺ) وسبطه ومحبيه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب.... الإمام الصادق شيخ بني هاشم ينظر: سير اعلام النبلاء، ١٣١١

لا بل هنا، وأحوج الناس إلى ثلاث لطمات رجل قدم إليه طعام، فقال: لا آكل حتى يجلس معي رب البيت^(١).

فالحكم الثلاث الواردة في الخبر السابق أتت في أدب الزيارة والمجالس، فالأول دعي وأجاب الدعوة ولكنه اصطحب معه آخر، والثاني: رفض الجلوس حيث قيل له والثالث: اشترط شرطاً غير لائق ليأكل طعاماً قدم إليه.

فكانت المرجعية الحكمية لأخبار ابن الجوزي عن الظراف والمتماجنين مصدرها العقلية العربية أو الثقافة العربية الإسلامية، أو الثقافة الدينية الفقهية التي مصدرها حديث أو جزء من حديث {عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ}.

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٧٦.

المبحث الثاني: المرجعيّات الثانية للشعر

يخضع الشعر للتطور بتطوُّر أُمَّته وثقافتها، ولتطور حياتها في كل الاتجاهات والنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعددات الثقافية، فهي التي تحدد مساره ونوعه وصوره وأساليبه والذي يحدد ويقرر هذا التطور والتغيير في أساليب الشعر هو الشاعر نفسه دون غيره.

أنَّ الشعر العربي قد شهد تطوراً نوعياً عند بداية عصر صدر الإسلام، فانتقل نقلة نوعيّة في بنية القصيدة العربية وفي شكلها ومعانيها وألفاظها، بل إن القصيدة العربية قد أصبحت أكثر سهولة ورشاقة من ذي قبل.

ويتقدّم عملُ الشعراء بتقدم العصور وصولاً الى عصر المؤلف ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧ هـ) ، وأما عصره هو العصر العباسي، وقد كانت آنذاك مدرستان للشعر، أمّا الأولى فهي الاتباعية، والثانية فتعرف باسم المدرسة التوليدية أو الجديدة، "ويمكن أن نوزع عمل الشعراء العباسيين في المقدمات على دائرتين كبيرتين: دائرة قديمة ودائرة جديدة، أمّا الدائرة القديمة فهيأت الحياة فيها للمقدمات الموروثة أنكبابهم على التراث من ناحية، واتصالهم بالشعراء البدو والأعراب وبالصحراء في أثناء حجهم وتطوافهم في بقاع العالم العربي من ناحية أخرى، وتمسك اللغويين بالنماذج الفنية الجاهلية... ولكن هذه المقدمات خلقت في صورة جديدة، صورة يحافظون فيها على

الشكل الخارجي معدلين فيه، ومجددين في تفاصيله وأجزائه، وملونين له بألوان مستمدة من صندوق أصباغهم الحضاري، ومولدين في معانيه وصوره^(١)."

وقد تضمنت أخبار ابن الجوزي في أخبار الظراف والمتماجنين شيئاً من أشعار العرب، فإن لم تكن على لسان قائلها الأصليين فإنما هي ظرافة جواب وبلاغة رد وذكاء في الاستحضار، ولكل منها موضوع محدد يتجه فيه، وعلى العموم عرف الشعر العربي القديم أنواعاً من الاتجاهات الموضوعية نحو الزهد^(٢) والشعر المذهبي^(٣) وأغراض الشعر المتنوعة كالغزل والوصف والحكمة والرياء وغير ذلك^(٤) ومما ورد منها في الكتاب أولاً الغزل : احد الفنون الشعرية المرتبط بطبيعة الانسان وتجاربه الذاتية وله مكانة بارزة في الشعر العربي ° .

وقد كان شعرُ العرب في الجاهلية حاضراً في أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، نحو شعر النابغة الذبياني مثلاً، كما في هذا الخبر الوارد في مطلع الكتاب، قال: "وقد كان شعبة يحدث الناس فإذا تَلَمَّحَ أبا زيدٍ النحوي في أخريات الناس، قال: يا أبا زيد:

(١) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، الدكتور حسين عطوان، : ٢١.

(٢) اتجاهات الشعر الموضوعية في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدار، : ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٠.

(٤) المصدر نفسه: ٤١٨ وما بعدها.

٥ (بنظر : الغزل في الشعر العربي ، سراج الدين محمد : ٨

اسْتَعَجَمْتُ دَارُ نُعْمٍ مَا تَكَلَّمْنَا والدارُ لو كَلَّمَتْنَا ذَاتُ أَخْبَارٍ^(١)

وهذا البيت في الأطلال والوقف الطللي، ويُعد الطلل من أبرز الموضوعات التي تردت في القصيدة الجاهلية لعلاقته الوثيقة بإنسانية الشاعر الجاهلي، وميوله وعواطفه بماضيه وحاضره^(٢).

والنابغة في البيت السابق يتمنى لو أنه يعرف الأخبار، ولكن عن أية أخبار يتحدث؟ ذلك ما لم يصرح به، ولكن ما دام يستتقُّ الديار فالوارد أنه يقصد أخبار ساكنيها، كالمحوبة مثلاً، "وإذا كانت الحبيبة هي المثير الطبيعي لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المثير الصناعي، وتفسير ذلك أن الحبيبة بعيدة عن المشاعر، فديار حلت محلها في إثارة عاطفة حبها، فلديارها ووجدانها هي المثير الصناعي ومرت الأيام حتى صارت ديارها وحدة متماسكة الأجزاء، فإذا كان جزء قد رحل فإن الجزء الآخر قد حل محله^(٣)".

وهذه القضية التي أثارت كثيراً من النقاد العرب قديماً وحديثاً، قضية الوقف الطللي، والتي كان لها حضور كبير في الشعر الجاهلي وكمطلع لأكثر المعلقات، ها هي أحد مرجعيات الشعر الموضوعية في أخبار الظراف والمتماجنين، وهي أول موضوع شعري في الكتاب، والبيت السابق للنابغة الوارد في الخبر السابق إنما كان

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٣٩، والبيت في ديوان النابغة الذبياني: ٢٠٢.

(٢) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حموي القيسي، : ٢٥٧.

(٣) الغزل في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الخوفي : ٢٣٥.

غرض المؤلف من ذكره بيان أهمية استقصاء الأخبار ومعرفة ما دار وما حدث، وأيضاً الحث على استحباب قراءة تلك الأخبار.

ويبقى للاتجاه الشعري الغزلي حضوراً في الكتاب، وهو من الغزل العفيف أو (العذري) لكثير عزة، قال المؤلف: "قال سفيان بن عيينة: أتينا مرة مسعر بن كدام، فوجدناه يصلي، فأطال الصلاة جداً، ثم التفت إلينا مبتسماً، فأنشدنا: (المتقارب)

أَلَا تِلْكَ عَزَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ ثَقَلَبُ لِلْهَجْرِ طَرْفًا غَضِيضًا

تَقُولُ مَرَضْنَا فَمَا غُدَّتْنَا وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا

قال: فقلت: رحمك الله، بعد هذه الصلاة هذا! قال: نعم! مرة هكذا ومرة هكذا^(١).

والمتكلم في هذا الخبر (سفيان بن عيينة) يتقمص شخصية كثير عزة، ويستحضر شخصية عزة ليضعها مكان من يحب، وأراد من ذكر هذين البيتين بيان سبب إطالته للصلاة، وهو أن طيف المحبوبة قد جال في خاطره، فأطال الصلاة لإرادة بقاء طيفها لأطول مدة ممكنة، وهذا يدل على شدة تعلقه بها، فهو حب صادق مخلص، وهذا الاتجاه من الشعر معروف بمصطلح (الغزل العذري) الصادق، فيبقى المحب مخلصاً لمحبيبته وإن طال الغياب وتبدلت الأزمان، وتغيرت الأحوال.

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٤٠. والبيتان في ديوان كثير عزة: مجيد طراد: ١١٢.

ان الغزل الصادق يكشف مشاعر قائله بصدق كما يكشف ايضاً بيئتهم
واخلاقهم، وعاداتهم، فهو يستمد من البيئة الطبيعية والاجتماعية، ويقدم تصويراً اميناً
لها^(١).

وقولهم: (بعد هذه الصلاة هذا) بقصد إنكار قوله، أي: هل يكون منك هذا
القول بعد هذه الصلاة الجيدة والطويلة؟! ولكنه أراد من استحضاره بيتي كثير عزة أن
يقول: إِنَّ طَيْفَ مَنْ أَحَبُّ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ، فأطلتها لكيلا يذهب طيفها
ويتلاشى ظلها.

فهذا من اتجاهات الغزل الصريح المعروف عن كثير عزة، وهو أحد
الموضوعات الشعرية التي وردت في الكتاب، ولكنه أيضاً من الأدب الاجتماعي، فهو
يذكر قضية اجتماعية تحصل في المجتمع وتؤثر على مكوناته الأسرية والفردية وهي
قضية الانفصال عن الزوج وهو خبر يمزج بين الغزل والثرثاء، قال ابن الجوزي في
هذا الخبر: "عن عبد الله بن عاصم بن المنذر، قال: تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق
عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت حسناء ذات خلق بارع، فشغلته عن مغازيه،
فأمره أبوه بطلاقها، فطلقها، وقال:

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا ... وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ

(١) ينظر: الغزل في الشعر الجاهلي، ٣١٢.

فرق له أبوه، وأمره فراجعها، ثم شهد مع رسول الله (ﷺ) غزاة الطائف، فأصابه سهم، فمات منه، فقالت عاتكة:

رُزيتَ بخيرِ الناسِ بَعْدَ نبيهِمْ ... وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وما كان قَصْرًا

وَأَلَيْتَ لَا تَنفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً ... عَلَيْكَ وَلَا يَنفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى ... أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرَا

إذا شَرِعتْ فِيهِ الْأَسْنَةُ خَاصَّهَا ... إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرَّمْحَ أَحْمَرَا^(١)

فقول عبد الله بن أبي بكر: (ولم أر مثلي اليوم....) هو في إظهار التعلق بالزوجة أو المحبوبة، وهو من الأدب الاجتماعي الواقعي، ولا يخلو البيت من إظهار عاطفة الحزن والأسى، لذا قد رق له قلب والده وأمره بإرجاعها، فالموضوع هنا اجتماعي، ولكنه في قول عاتكة: (رزيت بخير الناس...) من مواضيع الرثاء، وأيضا الرثاء لا يخلو من الحزن، والرثاء من أقدم أغراض الشعر العربي فقد عرف في الجاهلية، وكان كثير الورد، وكانت الخنساء أول الرائيات من الشاعرات العرب، فليست عاتكة سباقة لهذا، فالموضوع مطروح ومطروق أيضا، ولكنها ترسخ ثقافة الإسلام في الوفاة وعند تلقي خبر الموت، فهي لم تلطم أو تحلق شعرا أو تتدب، والأخبار في هذا كثيرة قد وردت كثيرا في كتاب أبي عبيدة، معمر بن المثنى (أيام العرب) كأشعار وأخبار عن هذا،

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٣

ولم تصف ساحة المعركة ولا بطولة الفقيـد كغيرها من الشعراء، وقد ورد هذا أيضا مطولا في حماسة أبي تمام، فقد كان الفقيـد يطاعن ويدافع، ومنهم من التهمتهم الرماح فكان فقدانـه فاجعة وخطباً جلاً، ولكن هنا اكتفت عاتكة في موضوعها بإظهار عاطفة الحزن والألم، والتـصبر على المصيبة، ولكن الرثاء لا يكون رثاء إذا لم يذكر الشاعر أو الراثي مناقب ومحاسن الفقيـد، وهذا أمر لم تغفل عنه عاتكة وهذا الأمر أي كانت قد أكثرت منه الخنساء في رثائها أخويها صخر ومعاوية، فكانت تطيل الحديث عن شجاعتهم وكرمهم وبطولتهم، وفكرة تحدي الموت والقوة^(١) والحديث عن موضوع الرثاء واختلافه ما بين عاتكة والخنساء يركز على الصورة التي هي أساسا روح القصيدة ولبها، لذلك" فالحديث عن الصورة هو حديث عن التجربة الشعرية بالكامل^(٢)" فالصورة الشعرية تتنوع وتتعدد تبعاً صانعيها، وتتوزع داخل الصور الجزئية التي تتفاعل فيها، فليس موضوع الرثاء الوارد في أخبار الطراف والمتماجنين هنا في هذا الموضوع هو الاتجاه نفسه الذي عرفه العرب الجاهلون، فثمة اختلاف ظاهر وتجدد في صورته" إن الصورة النهائية ليست في إحداها وليست في مجموعها، بل في شيء ثالث، لا نقول إنه يتولد منهما، بل يتولد بينهما^(٣)" وجاء في تنمة الخبر: "ثم تزوجها عمر بن

(١) بلاغات الخنساء، ابن طيفور، ٢٨٣.

(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال : ٣٨٣.

(٣) الصورة والبناء الشعري، د. محمد حسن عبد الله، ١٩٨١ : ٢٠.

الخطاب، فأولم، وكان فيمن دعا علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين! دعني
أكلم عاتكة، فقال: كلمها، فأخذ علي بجانب الخدر، ثم قال: يا عدية نفسها:

وَأَلَيْتُ لَا تَتَفَكُّ عَيْنِي قَرِيرَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جُلْدِي أَصْفَرًا

فبكت، فقال عمر: ما دعاك إلى هذا؟ كل النساء يفعل هذا^(١).

والظاهر أن علياً (عليه السلام) أراد مواساتها، فقد استبدل كلمة (حزينة) بـ (قريرة)
وكلمة (أغبرا) بـ (أصفرا) وبين (قريرة) و (حزينة) ينخفض الشعور من الحزن إلى درجة
الرضا باستشهاده .

ثانياً : المدح : فن من فنون الشعر العربي ،يراد منه أظهار فضائل الممدوح والثناء
عليه و" مع الاسلام تطور شعر المديح لأنَّ الفضائل التي كان الجاهلي يتغنى بها
دخل عليها التعديل من وجهه النظر الإسلامية مع أنَّ القيم الإسلامية جاءت لتحل
مكان القيم الجاهلية فقد كانت بحاجة الى من يعززها ويتغنى بها فقام الشعراء بهذا
الدور يمدحون الرسول (ﷺ) ويدافعون عن الاسلام" ^(٢).

وقد ورد في هذا الخبر الذي أورده ابن الجوزي وفيه شعر لعبد الله بن رواحة، وهو
عن عكرمة أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعا إلى جنب امرأته فخرج إلى الحجرة،
فعرف جارية له، فانتبهت المرأة فلم تره، فخرجت فإذا هو يعرف الجارية فرجعت فأخذت

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٣ . ٥٤ .

(٢) المديح في الشعر العربي، سراج الدين محمد: ١٨ .

شفرة فلقها ومعها الشفرة، فقال: مهيم؟ فقالت مهيم، أما أني لو وجدتكَ حيث كنت لوجأتكَ بها، قال: وأين كنت؟ قالت: تعرفها، قال: ما كنتُ، قالت: بلى، قال: فإنَّ رسول الله (ﷺ) نهانا ان يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب، قالت: اقرأ الآن فقال:

أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ كَمَا لَاحَ مَشْهُودٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ

اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقعُ

يبیث يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري، قال: فغدوت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه^(١).

ثالثاً : السخرية : من المواضيع التي تناولها الشعر في أخبار الطراف والمتماجنين موضوع السخرية وهو من المواضيع النادرة والقليلة في الشعر العربي الا ما كان يأتي في الهجاء وقد اتى هذا الشعر الساخر في هذا الخبر: "مازح معاوية الاحنف، فقال: يا أحنف! ما الشيء الملفف في البجاد؟ قال: هو السَّخِينَةُ. أراد معاوية قول الشاعر: (الوافر)

إذا مامات ميث من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٥ ، وينظر: ديوان عبدالله بن رواحة: ١٦٢.

بخبزٍ أو بَسْمَن أو بزيتٍ أو الشيء المَلْفَف في البجاد^(١)

يريد وطب اللبن .والبجاد كساء يلف فيه ذلك ، واراد بالخيلة ان قريشاً كانوا يأكلونها ..الخ^٢ . فالسخرية الحاصلة هي كثرة محبة بني تميم لهذه الأنواع من الأغذية وشدة تعلقهم بها، فهو يعبر عن ذلك بأسلوب ساخر فكاهي، ومفاد قوله: لو مات منهم أحدٌ وأردت عودته للحياة فجئ بشيء مما يحبون من الطعام.

وموضوع السخرية أيضاً مضافاً لموضوع المديح هو من المواضيع المتجددة في العصر الأموي، على وجه الخصوص.

ولعلَّ السخرية كموضوعاً عاماً متلائم أكثر من غيره مع الأسلوب الذي لا يخلو من الضحك أحياناً في مجموع أخبار الطراف التي أوردها ابن الجوزي فالظرف بلاغة الكلام وفن الرد والتفنن في استحضار الآثار أوالموروثات الثقافية بكل أطيافها، وهو المراد وهو الغرض من تأليف الكتاب أو هو أحد أبرز أغراض تأليف الكتاب وبهذا قد صرَّح ابن الجوزي نفسه في الكتاب قال: "قلت: وقد بلغني من جماعة من الفطناء والظرفاء حكايات تدل على قوه مفهومهم فسماعها يشدذ ذهن وينبه الفهم فأحببت أن اذكر منها طرفاً، وبلغني عن جماعة من المجون ما يتفرج فيه"^(٣).

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٥٧. والبيتان ليزيد بن الصعق الكلابي

(٢) يزيد بن عمرو بن خويلد والصعق لقب لأنه اصابته صاعقة ، ينظر : معجم الشعراء،المرزباني: ٣٢١

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٤٠ . ٤١.

فشذ ذهنه وتنبه الفهم مضافاً لما يتفرج به من أخبار المجنون سواء في السخرية أو التهكم أو عدم تحميل الأمر كثيراً، أو أكثر ممّا يحتمل، فكان كلُّ هذا أسباباً دعت ابن الجوزي للتأليف، والمجون أساساً كما عرّفه ابن الجوزي: " صرف اللفظ عن حقيقته الى معنى آخر وذلك يدل على قوة الفطنة"^(١).

إن قارئ الكتاب يجد ان كثيراً ممن أخبر عنهم كانوا في أخبارهم هذه يهونون المسائل كنحو تلك الأخبار الواردة عن الشعبي مثلاً، وليس حصراً، فما كانت تؤخذ المسائل غالباً في أخبار الكتاب على محمل الجد، بل بالظرافة وحسن الإجابة. وباختصار الكلام يمكن اختزال الكثير من الكلمات والجمل بكلمات قليلة دالة ومعبرة.

ثالثاً : العتاب

وفي هذا الخبر الاتي ينقل شعراً يحمل موضوع الصداقة والتحابب، وهو شعر بين الأفراد، ولكنه لا يحمل قضية اجتماعية ولا غيرها، بل ه شعر يدل على التآخي والمودة. جاء في الخبر (قال عثمان بن عيسى الهاشمي: كنت عند المعتز وكان قد كتب ابو أحمد ابن المنجم إلى اخيه ابي القاسم رقعته يدعوه فيها، فغلط الرسول فأعطاه لابن المعتز وأنا عنده فقرأها وعلم أنها ليست له فقلبها وكتب: دعاني الرسول ولم

(١) أخبار الظراف والمتماجنين : ٤١.

تدعني ولكن لعلّي أبو القاسم فأخذ الرسول الرقعة ومضى وعاد عن قريب فإذا فيها مكتوب:

أيا سيّداً قد غدا مفخراً لهاشم إذ هو من هاشم
تفضل وصدق خطأ الرسول تفضل مولى على خادم
فما أن يُطاق إذا ما جدت وهزلك كالشهد للطاعم
فدى لك من كل ما يتقيه أبو أحمد وأبو القاسم

قال: فقام ومضى إليه^(١).

فالموضوع الذي تحمله هذه الابيات يدل على صداقه وتآخٍ وحفظ الود، ولا يخلو من عتب خفيف في بداية الأبيات وهو في قوله دعانا الرسول ولم تدعني وكذلك في قوله تفضل وصدق خطأ الرسول مما دعاه أن يقوم ويذهب إليه .

وهذا الموضوع الوارد في تلك الأبيات السابقة: هو العتاب يحتاج براعة فنية من الشاعر لأنه "غرض شعري يضع الشاعر في موقف حرج يحتاج إلى براعة وجدارة وحيطه لكي يجعل عتابه متوازنا بين عواطف المعاتب ولذلك كانت طرق العتاب كثيرة، تختلف باختلاف أساليب الشعراء في براعته وموضوعاته"^(٢)، لذلك نوع الشاعر في

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦٩ . ٧٠.

(٢) العتاب في الشعر العباسي: ٦١٧.

الأبيات السابقة ما بين العتب والمديح وهو بعد أن عاتبه بقوله (دعانا الرسول ولم تدعني) الذي يظهر فيه العتاب واضحاً من عبارة ولم تدعني، تراه يمدحه بقوله: (أيا سيداً قد غدا مفخراً) وهذه العبارة تتجاوز المديح لتحمل شعور الافتخار، ولتحمل غرض الفخر والاعتزاز المعروف في الشعر العربي من عصر ما قبل الإسلام .

والشاعر يخفي العتاب بشيء من المديح لكي لا يرفع الخط الانفعالي فيرتقي العتاب للوم أو الزجر، كما فعل الشاعر في الأبيات السابقة، فقد افتخر به وأيضاً مدحه في قوله: (وهزلك كالشهد للطاعم) فيمكن القول: إنَّ هذا الموضوع الذي أورده ابن الجوزي مرجعية موضوعيه شعريه وهو موضوع العتاب أراد منه حقاً إظهار براعة العرب في فن التكلم وفنون الشعر، ويجمع الشاعر بين العتاب والمديح والفخر في أبيات قليلة ويضيف إليها أخيراً التواضع أمام من يعاتبه فيقول

تَفَضَّلْ وَصَدِّقْ خَطَأَ الرَّسُولِ تَفَضَّلْ مَوْلَى عَلَى خَادِمٍ (١)

فهو يضع نفسه بمنزلة الخادم أمام مولاه، وفي نفس الوقت ما أراد إلا معاتبته.

رابعاً : الشكوى :

قال ابن الجوزي: "قال الأصمعي: أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة:

من (السريع)

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٩.

يا أيُّها السائلُ عن منزلي نزلتَ في الخانِ على نفسي

يغدو عليَّ الخبزُ منْ خابزٍ لا يقبلُ الرهنَ ولا يُنسي

أكلُ منْ كيسي ومنْ كِسوتي حتَّى لقد أوجعني ضُرسي

فقال: اكتبه لي، قلت: أصلحك الله! إنَّما يُكتب هذا للأحداث، فقال: ويحك! اكتبه لي فإنَّ الاشراف يعجبهم الملاحه". (١)

وموضوع الأبيات الثلاثة السابقة هو الشكوى، فإنَّ الأصمعي يشكو الفقر، فالخبز . مثلاً . (لا يقبل الرهن) أي: هو خبز رديء ولا ينسي، وهنا حذف الشاعر المفعول به، وكأنَّه يقول لا ينسي شيئاً، أي: حذفه للإطلاق ليكون المعنى: هذا الخبز لا ينسى الجوع، وهو يأكل من كيسه وكسوته وهما أمران لا يؤكلان فالمتحصل ما هي إلا شكوى من الفقر وتردي الحال وقد يكون حذف المفعول به في الأبيات السابقة بعد كلمه ينسى لإرادة ذكر الحدث دون الحاجة لذكر المفعول به، "والحقيقة أنَّ هذا ليس من باب الحذف، بل هو أن تقتصر على الحدث وصاحبه من إرادة للمفعول وليس له تقدير ولا نية وذلك بحسب الحاجة والقصد". (٢)

(١) المصدر نفسه : ٧٥.

(٢) معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠: ٩٤/٢.

وغرض الشكوى في الأدب العربي غرض قديم وموضوع مطروق فقد عرفه الشعراء الجاهليون كما عرفوا الغزل والمديح والوصف في القصيدة ولكنها قريبة جدا من الرثاء والهجاء والوصف والغزل.

العرب آنذاك قد واجهوا بعض المحن فكثرت الشكوى و"كانت الحضارة العباسية متميزة بنضج عقل لذا كثرت الشكوى لما واجه الناس في القرن الرابع الهجري بضروب من المحن والنكبات"^(١).

والشاعر في الخبر السابق وهو الأصمعي^(٢) يشكو الفقر وليس هو متفرداً في الشعر العربي لهذا النوع من موضوع الشكوى فقط قاله ابن الرومي، وقاله أبو الحسين الجزار بأسلوب ساخر ذاتي فأما ابن الرومي فقال:

ومدّ ذو العيلة فيه الإصبعاً يشكو إلى الله ويمري المدمعاً

وأصبح القومُ البطانُ جوعاً وخشي الجائعُ أن لا يشبعاً^(٣)

وهكذا الشاعر يشكو الفقر والجوع بكلمات لا تخلو من الألم والبؤس ولكن أبا الحسين الجزار اعتمد أسلوب السخرية لهذا النوع من مواضيع الشعر، وهي سخرية ذاتية فقال:

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، د. عبد المنعم خفاجي : ٨١ . ٨٢.

(٢) ولم أجد هذا الشعر للأصمعي في غير هذا الخبر.

(٣) ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن يسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٨، ٢٠٠٢، ٣٤٥/٢.

لي من الشمس خلعة صفراء لا أبالي إذا أتاني الشتاء

ومن الزمهرير إن حدث الغيد م ثيابي وطيلساني الهواء

بيتي الأرض والفضاء به سو ر مدار وسقف بيتي السماء^(١)

فقد كانت الشكوى إحدى مرجعيات الشعر الموضوعية في كتاب أخبار الطراف المتماجنين لابن الجوزي، وذلك الموضوع المتداول على مر العصور .

وإذا كانت لشكوى من مواضيع شعر العرب الواردة في الشعر العربي، فإنه زاخر بالحكمة، ومن هذا الموضوع جاء هذا الخبر: "عن الأصمعي قال أبو حاتم انشدنا الأصمعي:

إذا جاء يومٌ صالحٌ فأقبلنهُ فأنت على يومِ الشَّقَاءِ قديرٌ

ثمَّ قال اتدرون من أين أخذت هذا؟ أخذته من قول العيارين: أكثر من التُّخْم فإنك على يومِ الجوع قادر".^(٢)

هذا الخبر الذي رواه ابن الجوزي ويتضمن شعراً حوارياً افتراضياً بين الجراد المعروف وبين أحد الأعراب، وكان الجراد قد مرَّ على زرعه فأفناه، قال في الخبر:

(١) فوات الوفيات، ابن شاعر الكبتي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت: ٢٨٧ / ٤.

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين: ٧٦.

"قال الأصمعي: اتيت البادية فإذا أعرابي قد زرع فلماً استوى وقام على سنبله مر به رجل من جراد وتضيفوا به، فجعل الأعرابي ينظر إليه ولا حيله له فأنشأ يقول:

مَرَّ الجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ: أَلَمْ بَخِيرٍ وَلَا تَلْمُ بِإِفْسَادِ

فَقَالَ مِنْهُمْ عَظِيمٌ فَوْقَ سُنْبِلِهِ: أَنَا عَلَى سَفَرٍ لَأَبْدَ مِنْ زَادٍ^(١)

فالشاعر يخاطب الجراد المعروف، والجراد غير عاقل، فلا يمكن أن يُخاطَبَ أو يردَّ، فالحوار إذاً افتراضي، وهو ضمن موضوع الشكوى على العموم، فالشاعر يشتكي جراداً أَلَمَّ بأرضه الفساد وأفسد عليه زرعه، لكنَّه بأسلوب غريب وطريقة فريدة قليلة الورد في الأدب العربي، وقد لا يكون على شاكلة ذلك غير ما جاء في كتاب كيلة ودمنة لابن المقفع، حتى زمن المؤلف.

خامساً" الفخر: ((الفخر والُخَارُ والْفَخَارَةُ والفَخِيرَى والفَخِيرَاءُ : التَمَدَّح بِالْخِصَالِ والافتخار وَعَدَّ الْقَدِيم ، وَقَدْ فَخَرَ يَفْخَرُ فَخْرًا وفخرةً حسنة ... والتفاخر : التعاضم

وأما في الخبر الآتي فقد كان الفخر الموضوع المرجعي لبיתי الشعر اللذين فيه، والفخر كذلك اتجاه موضوعي قديم في الشعر العربي، كشعر الغزل والحكمة والوصف، وإذا كان زهير بن أبي سُلمى رائد الحكمة في الجاهلية، فإنَّ عمرو بن كلثوم رائد الفخر في ذلك الزمن. قال ابن الجوزي: بلغنا عن بعضِ ولاةِ مصر أنه كان يلعب

(١) المصدر نفسه : ١٠٩ . ١١٠ .

بالحمام فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم، فبعث الأمير الى وزيره يستعلم عن الحال فكره الوزير أن يكتب إليه أنك قد سبقت ولم يدر كيف يكتني عن تلك الحال، فقال كاتب إن رأيت ان تكتب:

يا أيها المولى الذي جدّه لكل جدّ قاهر غالب

طائرُك السابقُ لكنّه أتى وفي خدمته حاجبُ

فاستحسن ذلك، وأمر له بجائزة، وكتب به". (١)

وهذا الشعر في الخبر يشابه موضوع الفخر الذي في الجاهلية فاتجه اتجاهه وسار مساره ففيه الفخر بالآباء والأجداد والأحساب، كما كان يفعل العرب آنذاك فقد "كانت لهم أسواق للقول، ومجالس يذكرون فيها أحسابهم وانسابهم ويمتدحون بكرم خالهم وجميل خصالهم ورفيع شيمهم، وإلى جانب ذلك كانت لهم حروب ينالون فيها من خصمهم، ويبلغون غايتهم من أعدائهم، وربما كانت بعض الرسائل لذلك أن يفتخر الرجل بنفسه او بقومه او يهّم بالثناء على سيد القبيلة". (٢)

ويمكن الوقوف هنا لوهلة طفيفة لينظر البحث في نوع الأشعار المبتوثة في كتاب ابن الجوزي، فنرى أنّ أكثرها وأغلبها من المواضيع المطروقة، والأغراض كثيرة الدوران في أشعار العرب، كالمديح وغيره من المواضيع الأولى في شعر العرب، بل

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٧٧.

(٢) بحوث في الأدب الجاهلي، إبراهيم أبو الخشب، وعبد المنعم البهتي: ٥٣.

ويتجاوز ابن الجوزي ذلك ليضع أخباراً بمواقف يحسب من يقرأها أنها تعود للعصر الجاهلي، فكان شعر العباسي الذي يذكره في أخباره المنتقاة منه . من غير شك . اتباعاً ينهج نهج القدماء الاوائل في نظم الشعر العمودي ما عدا الاختلاف الحاصل في بنيه القصيدة فيمكن أن تجد الشاعر في أخبار الظراف والمتماجنين يدخل في صلب موضوعه مباشرة من دون مقدمات أو وصف طللي ووصف للرحلة والخيال والخمر وغير ذلك بل وقد يرد الخبر الذي يتضمن شعراً ببيت يتيم واحد كما في الخبر الاتي: ((قال عمار بن عقيل، قال ابن ابي حفصة الشاعر: أعلمت أن أمير المؤمنين . يعني المأمون . لا يبصر الشعر؟ فقلت: من ذا يكون أفرس منه؟ والله إننا لننشد أول البيت فيسبق إلى آخره من غير أن يكون سمعه، قال: إني أنشدته بيتاً أجدت فيه فلم أره تحرك له، وهذا البيت فاسمعه: من (البسيط)

أضحى إمام الهدى المأمونُ مشغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغلاً

فقلت له ما زدت أن جعلته عجوزاً في محرابها، في يدها سبحة فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها، وهو المطوق لها، ألا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله". (١)

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٨٢، وينظر: ديوان مروان بن ابي حفصة: ١١٧، وديوان جرير: ٣٤٩.

أراد الشاعر ابو حفصه ان يقول ان المأمون مشغول بالدين والعبادة وامور الاسلام والطاعة في حين الناس في زمانه مهتمون بأمر الدنيا وشؤونها وغايتها، ولكنه ذمه دون قصد على حد تعبير الراوي عماره بن عقيل فلا يمكن للخليفة وهو أمير المؤمنين والقائم على الأمر أن يكون منشغلاً بالدين فحسب ومتفرغاً للعبادة والطاعة وتارك الدنيا وأهلها، في حين الناس قد شغلوا بالدنيا فان كان هو لا يهتم بها فمن يهتم بشؤون الناس والبلاد وهذا ما اراده الراوي ما قصده لذلك قال له بيت عمه جرير في عبد العزيز بن الوليد الذي مفاده ومعناه: إِنَّ عبد العزيز لا ينشغل بعرض الدنيا عن الدين ولا دينه وطاعته يشغلانه عن أمور الحكم في الحياه الدنيا.

والملاحظ ان البيتين متقاربان في الأسلوب وطريقه النظم والغرض والبيت الأول جيد وهو ايضا ولكنه لا يتلاءم مع مقام الخلافة الذي لا يصح مشاغله وصاحبه أن ينشغل بالطاعات ويتفرغ لها ويتركه ويترك الرعية والبلاد، ولتقارب البيتين مضموناً وأسلوباً وموضوعاً طالب الراوي عماره بن عقيل بن أبي حفصه أن يقول شعراً بمعنى بيت جرير، وبهذا يكون قد أعاد البيت الجديد الى أسلوب جرير في العصر الأموي فإذن قد لاحظ راوي الخبر أن البيت اتباعي، يتبع القدماء في أغراضهم وأساليبهم وهذا في الحقيقة وفاء للشعر العربي الأصل، وعموماً في هذا الاتجاه الاتباعي (الكلاسيكي)

يمكن القول: "وعلى هذا جاءت القريحة متأثرة بالتاريخ العربي وبلاغة الشعر القديم،

تستمد روائعها من معاني الشعر الصافي" (١)

وعلى هذا الاتجاه بقي أدباء العرب وشعراؤهم أكثرهم يحافظون في أشعارهم نظماً وأسلوباً واتجاهاً موضوعياً على المنهل الصافي للشاعر العربي الأصيل، كما في هذا الخبر الذي يتضمّن بيتاً واحداً قيل ارتجالاً تظهر فيه سمة الوضوح ظاهرة، كما هي من سمات الشعر القديم، أو هي من سمات الاتباعية وقد وضّح الدكتور شكري عياد هذه الفكرة قائلاً: "كان أصحاب مذاهب الأوائل محدثين مثل غيرهم لكنهم محدثون يخافون المغامرة ويطلبون السهولة، ولذلك استنكروا الغريب من الألفاظ، كما استنكروا العويص من المعاني، والمعاني كذلك يجب ألا تخرج عن المتعارف بين الناس" (٢)

وجاء في الخبر ((قال الحسن بن علي بن مقلی كان ابو علي بن مقلی يوما يأكل فلما رفعت المائدة وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلواء التي كان يأكلها، ففتح الدواة واستمد منها ونقطها على الصُفرة حتى لم يبقَ لها أثر وقال ذلك عيب وهذا أثر صناعة، ثم أنشد:

(١) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، د. نسيب نشاوي، ٧٣.

(٢) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، د. محمد شكري عياد : ٢٠٩.

إنَّما الزعفرانُ عطرُ العذارى ومدادُ الدَّويِّ عطرُ الرِّجالِ))^(١)

فكذلك أتت الكلمات هنا سهلة معروفة من غير ، وهذا الأكثر في شعر القدماء ، والابتعاد عن الغريب في الألفاظ أسلم في العربية شعرها وأدبها ، وأتت المعاني واضحة لا لبس فيها ، فالمذهب هو الاتباعي نفسه ليس بالشعر التوليدي المحدث في العصر العباسي ، ولا من الإبداعية التي ما كانت معروفة في عصر المؤلف ، والمعلوم أنه قد كان أشهر من تبنى هذا المذهب التوليدي الجديد في العصر العباسي أبو تمام والمتنبي والبحري ، وأتى البيت السابق في الخبر ارتجالاً مناسباً للفعل الذي قام به ومعنى البيت أنه قد وضع الحبر مكان الزعفران على ملابسه فالحبر يناسبه وأما الزعفران فلا .

سادساً : الهجاء :

وروى ابن الجوزي هذا الخبر عن الجاحظ الذي يتضمن بيتين من الشعر في موضوع الهجاء قبيلاً ارتجالاً ، قال الجاحظ : "كنت مجتازاً في بعض الطرق فإذا أنا برجل قصير بطين كبير الهامة منتثر بمنزر وبيده مشطٌ يسقي به شقه ويمشطها به فاستنزيتة ، فقلت : ايها الشيخ قد قلت فيك شعراً فترك المشط من يده وقال هات فقلت :

كَأَنَّكَ صَعُوءٌ فِي أَصْلِ حَشٍّ أَصَابَ الْحَشَّ طَشٌّ بَعْدَ رَشٍّ

فقال لي : اسمع الجواب ! فقلت : هات ، فقال :

(١) أخبار الطراف والمتماجنين : ٨٢ . ٨٣ .

كَأَنَّكَ كُنْدُنْ فِي ذَنْبٍ كَبَشٍ يَذْلِلُ هَكَذَا وَالْكَبْشُ يَمْشِي" (١)

ومعنى بيت الجاحظ: كأنك عصفور صغير بمكان الغائط أصابه ماء كثير قبل ماء خفيف، ومعنى البيت الثاني للأعرابي: كأنك خصيه في ذنب الكبش.....

ومن غير شك ان هذا هجاء قاسٍ، بل هو سباب وشم ظاهر، وموضوعه الهجاء الشخصي، "وقد عرف الشعراء الجاهلون ألواناً أخرى من الهجاء هي الهجاء الشخصي والهجاء السياسي، ثم عرفوا بعد ذلك لوناً آخر ظهر بظهور الإسلام وما صاحبه من حركتهم الفكرية وهو الهجاء والديني، يُعرَف الهجاء القبلي بالهجاء الشخصي الذي يخرج به الشاعر من دائرة التحديد الى دائرة العموم ومن الجزئي إلى الكل فكأنه أراد أن يوسع من دائرة الالم ويصيب بسهمه غير المهجور فيمكن أن نرجعهما الى شيء واحد وهو الهجاء الشخصي سواء اتخذ فرديه خاصه ام جنح الى العموم والشمول فقد كان ناتجاً من المنازعات الفرديه والخلافات التي نشأت من احتكاك الناس وتعارض مصالحهم". (٢)

واضح من الخبر السابق انَّ الاثنين الجاحظ والرجل لم يكونا يقصدان الهجان الحقيقي على الرغم من نظم الالفاظ النابية بل هو على غير محمل الجد وغرضه ليس الهجاء كما هو في الظاهر وإنما المنافسة على الشاعرية، ذلك لعدم وجود سبب لان

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٩٥ . ٩٦.

(٢) الهجاء والهاجؤون في الجاهلية، محمد محمد حسين : ١١٥.

يكون ذلك الهجاء جادا وهذا التنافس على الشاعرية تحت موضوع الهجاء ليس جديداً على الشعر العربي فقد كانت نقائض جرير والفرزدق قائمة على المنافسة وبث روح المتعة بين الناس فكانوا يحفظونها ويتناقلونها، " وقد كان للشعر أثر كبير في هذا العصر، وكان الناس يترقبون ما يدور بين الشعراء من تبادل القصائد ليحفظوها ويتناقلوها بين قبائلهم وليتذوقوا ويستمتعوا في القائها في مجالسهم وكانوا ينقسمون على بعض بين مؤيد ومعارض لهذا الشاعر او ذاك وقد كان الفرزدق وجرير من أبرز شعراء العصر، وبسبب التنافس الشديد بينهما على شهره وجاه حصلت هذه المساجلات الشعرية المشحونة بما في نفوسهم من عدااء شعري".^(١)

فشأن ما جرى في الخبر السابق بين الجاحظ والرجل هو نفسه وعينه ما جرى بين جرير والفرزدق من التهاجي في النقائض وهو التنافس على الشعرية والبراعة في استعمال أساليب اللغة والشعر، لكن الذي اختلفوا فيه هو أنّ جريراً والفرزدق كانا على السواء يُدخلان النسب والقبيلة ضمن قصائدهما، فلم يقتصر إظهار البراعة في نظم الشعر على المستوى الفردي، بل أراد كلٌّ منهما إظهار براعته التاريخية والاجتماعية وسوق الكلمات بما يتلاءم مع غرضهما.

فيمكن القول: جاء الشعر في كتاب أخبار الطراف والمتماجنين يدور حول مواضيع محددة، ومعروفة كأغراض أصيلة في الشعر العربي، نحو المديح والغزل

(١) النقائض، أبو عبيدة معمر بن المثنى : ٤٠٣.

والهجاء...، وكان نوع تلك الأشعار إذن اتباعية، أو أنها تعود للمشرب الصافي لهذا المذهب الشعري، وهم القدماء أنفسهم، وكان ابن الجوزي لا يذكر أياً من الشعر المولد المعروف في العصر العباسي.

الفصل الثالث

المرجعية التاريخية والاجتماعية

❖ المبحث الأول : المرجعية التاريخية :

أولاً : الاحداث والوقائع التاريخية .

ثانياً : الشخصيات التاريخية .

ثالثاً : الأمكنة التاريخية .

❖ المبحث الثاني : المرجعية الاجتماعية :

أولاً : مرجعية الفكاهة والسخرية الاجتماعية .

ثانياً : مرجعية النسق الأنثوي والاجتماعي .

ثالثاً : مرجعية العادات والتقاليد الاجتماعية .

الفصل الثالث : المرجعية التاريخية والاجتماعية:

مدخل:

أدرك الأديب العربي الأهمية البالغة للتاريخ، وقد تأتي ذلك الإدراك لتلك الأهمية من معرفته وإدراكه للقيمة الاجتماعية في نتاجه الأدبي، إذ ليس التاريخ وصفا لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليس إذن هناك صورة جامدة ثابتة لأية مدة من هذا الماضي (١).

ويمثل النص الأدبي مجموعة من المرجعيات والإشارات منها تاريخية ومنها اجتماعية وغيرها، وفي أخبار الطراف والمتماجنين لابن الجوزي ثمة إشارات للحياة اليومية المعيشة للكاتب في نمط تفكيرها واستسقاء ثقافتها، وقد يكون ذلك استثمارا للظروف الاجتماعية وحسن توظيف في الإنتاج الأدبي، ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن الأديب لا يستغني . ولا يمكن له ذلك أبدا . عن الاستعانة بالبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها وعاش فيها أو يكتب عنها، فضلا عن العادات والأعراف السائدة في زمنه ومكانه، ويعد ذلك "انعكاس ممارسات الأنساق الاجتماعية والثقافية من داخل الذات نفسها (٢).

وبعض المبدعين يستغرقون الكتابة في الشأن التاريخي فيعد نتاجهم وثيقة تاريخية مع الاستعانة بالأشخاص أو الأمكنة أو البلدان أو بالأحداث التاريخية أو الوقائع والحروب، وبعضهم يكون الرجوع للشأن التاريخي وسيلة لتكامل الفكرة المعينة واستيفاء عناصرها، وفي الكتاب المدروس شيء من هذا وله وقفة خاصة.

(١) دراسة الأدب العربي، د. مصطفى ناصف، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ٢٠٥.

(٢) في تحليل الخطاب الشعري، دراسات سيميائية، عصام واصل، دار التنوير، الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠١٣: ١٣٠.

المبحث الأول

المرجعيات التاريخية

أما عن ابن الجوزي فمن غير شك قد كان واعياً في أسلوبه لكل ما يقدمه، فلم تكن المرجعية التاريخية قد ذكرت عبثاً في الكتاب، بل كان لها غرض واحد واضح ومحدد، ألا وهو خدمة المعنى بما يتلاءم مع عنوان الكتاب، وكما قيل: حينما يستقي الكاتب مرجعيته من التاريخ لا بد أن يكون جداً لدور النص الروائي وعلاقته بالتاريخ، والفارق بين النص التاريخي والنص الإبداعي، وإذا كانت المرجعية التاريخية مسيطرة بشكل كبير على فكر الكاتب فالمادة التاريخية التي بالأصل هي مرجعية الكاتب والنص تتغلغل داخل النص وتدخل بين مفرداته ^(١) وكانت المرجعية التاريخية في الكتاب المدروس على أشكال فمنها مرتبط بالوقائع والأحداث ومنها بالشخصيات ومنها بالمواضع التاريخية.

أولاً: الأحداث والوقائع التاريخية.

تعد الوقائع والأحداث التاريخية ذات أهمية بالغة لأنها تعرفنا بأحوال الأمم السابقة وما يدور فيها ولم يغفل ابن الجوزي عنها فقد ذكر لنا طائفة من هذه الأخبار التي تتحدث عن وقائع كانت في عصره وعصور سابقة له ومنها ما جاء عن النبي محمد (ﷺ) ((قال محمد بن اسحاق : لما خرج رسول الله (ﷺ) الى بدر خرج هو ورجل آخر تبعه فرأيا رجلاً فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال رسول الله (ﷺ) ((إذا أخبرتنا أخبرناك)) فقال الشيخ: بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا ، فان كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان ثم قال: ممن أنتم ؟ فقال رسول الله (ﷺ) ((نحن من ماء)) وكان العراق يسمى ماءً، فأوهمه انه من العراق وانما أراد انه خلق من

(١) مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية، فهد حسين، : ٥١.

نطفة))^١. فهذا الخير يذكر حادثة تاريخية وهي معركة بدر ويظهر لنا فطنة وبلاغته الرسول (ﷺ) ، وفي خبر آخر رواه ابن الجوزي ((قال ابن الاعرابي اسرت طيء رجلاً شاباً من العرب فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه فاشتطوا عليهما في الفداء وبذلا مالم يرضوا ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يصبهان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما اعطيتمكم ، ثم انصرفا فقال الأب للعم لقد ألقيت الى ابني كلمة إن كان فيه خير لينجون، فما لبث ان نجا،

وطرد قطعة من ابلهم كأنه قال له : الزم الفرقدين . على جبل طيء فإنهما طالعان عليه، ولا يغيبان عنه))^٢. فحادثه الاسر من الاحداث الشائعة في الحروب والوقائع والتي لازالت مستمرة.

وفى حادثة أخرى ما جاء عن فرعون ((بلغنا ان رجلين سعيًا بمؤمن إلى فرعون ليقتله، فأحضرهم فرعون، فقال للساعيين : من ربكما ؟ قالوا : أنت ! فقال للمؤمن : من ربك؟ فقال: ربي ربهما فقال لهما فرعون : سعيتما برجل على ديني لأقتله! فقتلهما))^٣ تبين لنا هذه الحادثة الظروف الدينية التي كانت سائدة أو الصراعات بين فرعون وقومه حول العبادة .

فحادثة القتل هذه . إن صح الخبر . ليست هي المقصودة بذاتها من إيراد هذا الخبر، ولا فرعون أيضا ولكن براءة جواب الرجل المؤمن الذي نجا به من القتل هو المقصود، وهو المراد من هذا الخبر، فقد أتت مرجعية الوقائع التاريخية ضمن سياق الخبر لتحديد سبب القول في سياق ما يعرف بالمقام أو سياق الحال، ولا شك أن الرجل المؤمن بالله تعالى حين قال: (ربي ربهما) كان يقصد الرب الحق وهو الله سبحانه وتعالى فهو ربهما الحقيقي، وليس المزعوم باطلا وزورا فرعون كما قد توهم هو ومن كان معه.

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٤٨

(٢) المصدر نفسه: ١١٦

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ٧٥

وعن الوقائع التاريخية يذكر ابن الجوزي هذا الخبر عن حادثة مقتل الزبير، جاء فيه: "قال ابن أبي الزناد: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص من قمص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب مما انتهت، فقال أسماء: للقميص أشد علي من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أراده أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها، فقالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله؟ قالوا: فليس يرد القميص! فقال: قولوا له فليجيء. فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله فدفعه فقالت: قبضت القميص يا عبد الله؟ قال: نعم، قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة^(١).

فهي إذن لم تذكر الاسم كاملاً وهذا حسن تصرف منها رضي الله عنها وهو المراد من هذا الخبر وهي كانت قاصدة إجابتها تلك وهي: (قولوا فليجيء) وقد فعلت ما خطر لها وكانت ظرافتها وحسن تصرفها سبيلاً لنيل غايتها، وكانت تلك الحادثة التاريخية (مقتل الزبير) مرجعية أساسية لهذا الخبر

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٤٣.

ثانياً: الشخصيات التاريخية

لم يكن أسلوب ابن الجوزي في استحضار الشخصيات التاريخية على سبيل تقمص الشخصية أو تشبيه شخصية بشخصية ثانية من التاريخ على سبيل الرمز أو الترميز بل كان يذكرها ذكراً مباشراً وحقيقياً في إطار خبر من أخبارها، والحديث عن الشخصيات التاريخية في كتاب أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي طويل ومتعدد بتعدد أخبار الكتاب، فلكل خبر شخصية أو أكثر ولكن لا بد من التفريق ما بين الشخصيات التاريخية وما بين الشخصيات الأدبية أو الدينية، وإن كان الجامع بينهما التراث وكلها من الشخصيات التراثية ولكن غالباً ما يفهم من مصطلح الشخصيات التاريخية بأنهم القادة السياسيون والعسكريون كالولاة والأمراء وقادات الجيوش وما شابه، ولا يرى هذا البحث خطأ في أن يقول قائل: خالد بن الوليد شخصية تاريخية دينية، لأنه من الصحابة رضي الله عنهم وهو قائد من القادة الإسلاميين أو العرب، ومثلها عبارة: خالد بن الوليد شخصية تاريخية إسلامية، فالإسلام هو الدين نفسه في العبارة السابقة، والإسلام له تاريخ خاص به، فليس من الخطأ تخصيص حقبة تاريخ بإضافة المخصص له.

ويمكن تعميم المثال السابق ليضم الشخصيات الأدبية القديمة والشخصيات غير الحقيقة كالتى في الأساطير أمثال السندباد وشهريار وطائر الفينيق وما شابه... وممن رأى الكاتب علي عشري زايد فقد ضم في كتابه (استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر) جميع أنواع الشخصيات المحبوبة والمنبوذة والأدبية والدينية والفلكلورية والأسطورية، وقد عد كل ذلك تراثاً وتاريخاً.. قال مثلاً: "الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى فدلالة البطولة في قائد معين أو دلالة النصر

في كسب معركة معينة تظل بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو لتلك المعركة باقية وصالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة...^(١).

وقد افتتح ابن الجوزي أخبار الظراف والمتماجنين ببعض أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكان في أوله هذا الخبر عن سليمان عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام،

سليمان (عليه السلام) :

سليمان بن داود بن النبي داود (عليه السلام) أحد ملوك بني إسرائيل ، وهو ثالث ملوك مملكة بني إسرائيل ويعتقد انه عاش في الفترة ما بين (٩٧٠ ق . م) حتى (٩٣١ ق . م) وقد اوتي سليمان ملكاً لم يكن لأحد من بعده كما ذكر ذلك في القرآن الكريم حيث سخرت له الجن والرياح والطير فتعلم منطق الطير والحيوانات ^(٢)

((عن محمد بن كعب القرظي ، جاء رجل الى سليمان النبي فقال : يا نبي الله ان لي جيراناً يسرقون اوزي فنأدى الصلاة جامعة ، ثم خطبهم فقال في خطبته : واحدكم يسرق اوزة جاره ، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجلاً رأسه ، فقال سليمان خذوه فإنه صاحبكم))^(٣) .

(١) استدعاء الشخصيات التراثية: ١٢٠.

(٢) سليمان (عليه السلام) النبي الملك : منصور عبد الكريم : ٨

(٣) اخبار الظراف والمتماجنين : ٤٧

و من الصحابة ورد ذكر أبي بكر هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، المعروف بأبي بكر ، ينتمي إلى قبيلة قريش التيمية يجتمع نسبه مع نسب الرسول محمد (ﷺ) عند مرة بن كعب. يُعرف بأبي بكر الصديق ابن أبي قحافة، إذ كان اسم أبي قحافة عثمان بن عامر. أما والدته فهي سلمى بنت صخر، المشهورة بأم الخير، وهي ابنة عم أبي قحافة، مما يعزز مكانته العائلية ضمن بني تيم^(١) ومن أمثلة ورود هذه الشخصية في الكتاب ((عن أنس قال لما هاجر رسول (ﷺ) كان يركب وابو بكر رديفة ، وكان ابو بكر يعرف لأختلافه الى الشام ... الى اخر الرواية))^(٢).

وكذلك عمر بن الخطاب : هو ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، وينتمي إلى قبيلة قريش العدوي. يتقاطع نسبه مع نسب النبي محمد عند كعب بن لؤي بن غالب^(٣) اما من الناحية البطولات لم يخلد له التاريخ بطولة تذكر ((عن ابن عباس : وروي مثل هذه القصة في خلافة عمر فقال جرير : يتوضئ القوم كلهم ؟ فقال عمر نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد انت في الإسلام))^(٤) .

(١) ابو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، محمد رضا ، ١٦ .

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين : ٥١

(٣) الطبقات الكبرى ، ٣ : ٢٦٥

(٤) اخبار الطراف والمتماجنين: ص ٥٤

وعلي بن أبي طالب (عليه السلام): علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، الذي يُعرف أيضاً بشيعة الحمد، وينتمي إلى بني هاشم من قبيلة قريش. يتصل نسبه بالنبي محمد (ﷺ) عند جده عبد المطلب بن هاشم، إذ كان والده، أبو طالب، شقيق عبد الله والد النبي (ﷺ) (يُعد علي بن أبي طالب ابن عم النبي وأحد أبرز الشخصيات الإسلامية، وقد أطلقت عليه والدته عند ولادته اسم "أسد"، تيمناً باسم والدها، أسد بن هاشم، هذا النسب العريق يعكس مكانته في التاريخ الإسلامي ودوره المحوري في دعم الرسالة النبوية^(١)). ومن تجليات ذكر شخصيات الامام علي (عليه السلام) في كتاب الدراسة ، ما اورده ابن الجوزي ((قال يهودي لأمير المؤمنين علي : مادفنتم نبيكم حتى قالت الانصار : منا أمير ومنكم أمير فقال له علي : انتم جفت اقدامكم من البحر حتى قلت اجعل لنا الها))^(٢) . وما روي عن الامام علي (عليه السلام) ((عن حنش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش فأستودعاها مئة دينار، وقالا: لاتدفعيها الى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع فلبثنا حولاً فجاء أحدهما اليها ،فقال أن صاحبي قد مات ،فأدفعي الي الدنانير، فأبت وقالت :أنكما قلتما لاتدفعيها الى واحد منا دون صاحبه فلبست بدافعتها اليك ، فتنقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزلوا بها حتى دفعتها اليه ثم لبث حولاً فجاء الآخر ،فقال ادفعي الي الدنانير فقالت : أن صاحبك جاءني فزعم انك مت فدفعتها اليه

(١) ينظر الطبقات الكبرى : ابن سعد: ٣ / ١٩

(٢) اخبار الطراف والمتماجنين : ص ٥٤

،فأختصما الى عمر بن الخطاب ،فأراد أن يقضي عليهما فقالت : أنشدك الله أن تقضي بيننا أرفعنا الى علي فزفعهما الى علي ، فعرف انهما قد مكرا بها ، فقال: أليس قلتما لا تدفعيهما الى واحد منا دون صاحبه ؟ قال بلى فقال علي مالك عندنا فجئ بصاحبك حتى تدفعها اليكما (١) يبين هذا الخبر حكمة الامام علي وانصافه وعدله في القضاء بينهما فيما يعكس تسرع عمر في القضاء من غير انصاف .

عقيل بن ابي طالب : هو عقيل بن ابي طالب ، بن عم الرسول (ﷺ) واخو علي وجعفر وكان الاسن ذكر في الكتاب وهو من الشخصيات التاريخية البارزة ((وقال معاوية لعقيل : ان فيكم لشبقاً يابني هاشم قال : هو منا في الرجال وهومنكم في النساء (٢)

وباقى الشخصيات من العلماء والعوام .

ثالثاً : الأمكنة التاريخية :

جاء في لسان العرب مادة مكن : قال رسول الله (ﷺ) أقرؤا الطير على مكناها ومكناتها ، قيل عنى موضع الطير ،وقيل أمكنتها ،قال الزمخشري ومكن جمع مكان كصعداتٍ في صعدٍ وحمراتٍ في حمرٍ (٣)

فالمكان يلعب دوراً في تكوين هوية الكيان الجماعي ، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، واصبح ينظر اليه على انه عنصر شكلي و تشكيلي من عناصر العمل الفني ، واصبح : تفاعل

(١) أخبار الظراف والمتماجنين : ٥٢

(٢) المصدر نفسه : ٥٨

(٣) لسان العرب : مادة مكن : ١٣ ، ١٦٢

العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعداً جمالياً .. من ابعاد النص الأدبي^١ وكتاب دراستنا لا يخلو من الاشارة الى اماكن تاريخية عديدة بنوعها المغلقة، والمفتوحة ذكرت في هذه الأخبار ومنها الخير الذي أورده ابن الجوزي عن السوق وهو من الاماكن المفتوحة

(١) سوق البزازين

و((مر بهلول بسويق البزازين فرأى قوماً مجتمعين على باب دكان قد نقب ، فنظر فيه ، وقال : ما تَعْلَمُونَ من عمل هذا ؟ قالوا : لا قال : فأنا اعلم فقالوا : هذا مجنون يراهم بالليل ولا يتحاشونه ، فالطفوا به لعله يخبركم فقالوا : خبرنا ، قال انا جائع فجاءه بطعام شيء وحلواء فلما شبع قام ، فنظر في الثقب ، وقال : هذا فعل اللصوص))^(٢)

(٢) المدن

ومنها بغداد والبصرة ، والكوفة ((قال الجمّاز : قال لي أبو كعب القاصّ : والدتي بالبصرة وانا شديد الشفقة عليها وأخاف ان حملتها الى بغداد في الماء ان تغرق وان حملتها على الظهر ان تتعب ، فما تشير علي في أمرها ؟ فقلت له : أشير عليك ان تأخذ بها سفتجة^(٣)))^(٤) فقد تجلى هنا حضور مدينتي (البصرة وبغداد) وأثرهما في نسج أحداث الخبر .

(١) جماليات المكان : أحمد ظاهر ، ٣

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٩٩.

(٣) سفتجة الشيء المأخوذ قرضاً، أخبار الطراف والمتماجنين ، ١٠٤

(٤) المصدر نفسه،

٣) نهر دجلة

من امثله في الكتاب كان علي بن عيسى الربيعي يمشي على جانب دجلة فرأى الرضي والمرضى في سفينة ومعهما عثمان بن جني فقال من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً بينهما وعلي يمشي على الشط بعيداً عنهما^(١) فهنا وصف للمكان والربيعي يتمنى ان يون معهم في المكان نفسه

٤) جسر بغداد :

ومن أمثله خرج رجلٌ فقعد يتفرج على الجسر فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة الى الجانب الغربي فأستقبلها شاب فقال لها :رحم الله علي بن الجهم ،فقالت المرأة : رحم الله أبا العلاء المعري ، ومرا فقال فتبعت المرأة وقلت لها: أن لو تقولي ما قلتما فضحتك فقالت : قال لي رحم الله علي بن الجهم يريد قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بترحمي على ابي العلا قوله :

فيا دارها بالحزن أن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال^(٢)

المدن ، والسوق يعكس الواقع الثقافي. السائد ، وهو لا يخضع السلطة أحد ولا لملكية على العكسية من الأماكن المغلقة، فالمكان ليست مجرد موقع بل هو مساحة مفتوحة تتحرك فيه الشخصيات والهدف من انفتاحه استيعاب انواع مختلفة من البشر، وتنوع الوقائع فلا تكتنفه السرية ، او تفرض عليه الخصوصية^(٣) .

١) أخبار الظراف والمتماجنين : ٩٣

٢) المصدر نفسه : ١٤٨ - ١٤٩

٣) خصوصية المكان المفتوح في السرد (ثلاثية أحلام مستغانمي : ٣٥

اما الاماكن المغلقة جاءت متنوعة في كتاب در استنا والمغلق الذي يخضع للحدود والحواجز ومنها :

(١) حمام ابن موسى

((قال محمد بن سكرة: دخلتُ حماماً، وخرجتُ وقد سُرق مداسي فعدت الى داري حافياً

وأنا أقول:

إليك أذم حمام ابن موسى وإن فاق المنى طيباً وحرّاً

تكاثرت اللصوص عليه حتى ليحفى من يطيف به ويعرى

ولم أفقد به ثوباً ولكن دخلتُ محمداً وخرجتُ بشراً^(١)

وخرجت بشراً، أي: حافياً،

فهو يضم المكان الذي شهد له هو نفسه بانه فاق المنى طيباً والسبب الذي دعاه لزم المكان هو تواجد اللصوص فيه أو حوله

فقد جسد هذا المكان طبيعة الأحداث والحوار الموشح بلون من الظرف والسخرية .

(٢) المساجد ((دخل أبو حازم المسجد، فوسوس له الشيطان انك قد أحدثت بعد دخولك

، فقال أو بلغ هذا من نصحك))^(٢)

(١) أخبار الطراف والمتماجين: ١٠٠ . ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٠ .

فالمسجد هو مكان معروف للعبادة، ولكن هنا قد بين الخبر صراع ابي حازم مع الشيطان اثناء الأقبال على الصلاة .

(٣) سجن الحجاج : ((قال قحزم وجد في سجن الحجاج ثلاثة وثلاثون ألفاً ، ما يجب على أحد منهم قطع ولا قتل ولا صلب))^(١)

فالسجن من الأماكن المعادية للإنسان على العكس من ذكره للدار حيث يجد فيه الانسان الالفة والراحة والسكينة .^(٢)

فالاماكن المغلقة تنوعت بين الراحة والتقييد والقمع وهي عنصر مؤثر في الشخصيات وتفاعلها على أرض الحدث في مضامين أخبار الكتاب ومقاصدها..

(١) اخبار الطراف والمتماجنين: ٧٠

(٢) المصدر نفسه : ١١٣

المبحث الثاني

المرجعية الاجتماعية

ارتبطت المرجعية الاجتماعية بالواقع الذي عاشه ابن الجوزي فعصر ابن الجوزي يعد من ابرز العصور التي شهدت تقدماً ونواحي شتى ((فقد توزع مجتمع العصر العباسي الثاني ثلاث طبقات اساسية طبقة عليا، وطبقة وسطى ، و ثم الطبقة الدنيا ، الطبقة العليا مثلت الخلفاء ، الوزراء ، القواد ، والولاة النجار))^(١) . اما الطبقة الوسطى فمثلت الموظفين، رجال الجيش ، والعلماء، والشعراء^(٢) . ثم تأتي الطبقة العامة او الدنيا لتشمل أصحاب المهن الحقيرة ، وتمثل الرعية ، التي يقع عليها عبء العمل كله في الزراعة ، والصناعة ، والخدمة ، فهي تارة عاملة أو خادمة وتارة تعمل لا ضحاك الطبقتين العليا والوسطى^(٣) .

فالظروف المحيطة بأبن الجوزي شكلت مرجعية مهمة له هو ما سنوضحه على نحو الاشارة والتمثيل :

اولاً: مرجعية الفكاهة والسخرية الاجتماعية:

ورد في لسان العرب الفكاهة بالضم : المزاح وقيل الفاكه ذو الفكاهة كالتامر واللابن ، والتفاكه : التمازح ، وفاكهت القوم مفاكهةً بمُلح الكلام ، والفكه الذي يحدث أصحابه ويضحكهم^(٤). الفكاهة انتشرت الفكاهة في ذلك العصر عند طائفة من الناس يعكسون فيها احوالهم الاجتماعية ، فهي تعد من الوسائل المهمة التي تخفف عن الانسان الآمه النفسية الخاصة فضلاً عن استعمالها في مواجهة المشكلات السياسية والاقتصادية^(٥) . وهي شكل من

(١) العصر العباسي الثاني د. شوقي ضيف : ٥٣ .

(٢) ينظر: المرجع نفسه : ٦٠ .

(٣) ينظر: المرجع نفسه : ٦٢ .

٤ (لسان العرب : مادة فكه : ١٠ / ٣١٠ .

(٥) ينظر : الفكاهة والضحك رؤية جديدة : شاكر عبد الحميد: ١٠ .

اشكال التعبير الادبي او الفكري. يهدف الى نقد السلبيات والنقائص في طبيعة البشرية والمجتمع^(١) ، فظاهر الامر فكاهة وباطنه إظهار لهذه العيوب المنتشرة السيئة، كالسرقة وهي قضية منبوذة في السياق الديني والاجتماعي مثلاً. ما أورده ابن الجوزي ((عن محمد بن كعب القرظي، قَالَ : جاء رجل الى سليمان النبي (عليه السلام) فقال : يا نبي الله إن لي جيراناً يسرقون أوزي، فنادى: الصلاة جامعة ؟ ثم خطبهم ، فقال في خطبته واحدكم يسرق وزه جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل على رأسه فقال سليمان : خذوه انه صاحبكم))^(٢)

فهنا كشف عن السارق بأسلوب جميل محكم وهذا الاسلوب يمتاز بانه اسلوب خفيف يجلب و المتعة ويسري عن خاطر فوق ما يستثير من الازواق ويحركها في طلب موضع النقص والوقوف على مظلة الطرف)^(٣) ، و ما روي ايضاً ((خاصمت امرأة زوجها في تضيقه عليها، فقالت: والله ما يقيم الفأر في بيتك الا لحب الوطن وإلا فهن يسترزقن من بيون الجيران))^(٤) وفي رواية أخرى ((استأجر رجل داراً فجعل خشب السقوف يتفرقع فقال لمالك الدار : اصلح هذا السقف، فان خشبه يتفرقع، قال :لابأس عليك فأنه يسبح قال: أخشى ان تدركه الرقة فيسجد))^(٥) . وهذان الخبران يعكسان حالة الفقر والجوع والبخل المنتشرة انذاك، وما كان بارزاً في ذلك العصر هي الممازحة وتتجلى في خبر ذكره لنا ابن الجوزي ((عن نافع ، قال كان عبد الله بن عمر يمازح مولاة له فيقول لها: ((خلقني خالق الكرام و خلقك خالق اللئام فتغضب وتصيح وتبكي ، ويضحك عبد الله))^(٦)

(١) ينظر : الفكاهة والضحك رؤية جديدة : شاكِر عبد الحميد: ٥٣

(٢) أخبار الطراف والمتماجنين : ٤٧ .

(٣) تجليات السخرية في ادب عاصم حنفي. د.أمين إسماعيل ، عدد: ٣٧، الإصدار الثالث / ٢٠٢٤ ، ٢٥٠ .

(٤) أخبار الطراف والمتماجنين : ١٤٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١٣٧ .

(٦) المصدر نفسه : ٥٧ .

فهذه الممازحة تظهر روح الفكاهة التي لا يخلو عصر منها^(١). والتي سيطرت على اغلب أخبار الكتاب ومنها ممازحة معاوية للأحنف ((مازح معاوية الأحنف ، فقال : يا أحنف ما الشئ الملفف في البجاد قال هو السخينة أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ فسرك أن يعيش فجئ بزادٍ

بخبزٍ أو بسمنٍ أو بزيتٍ أو الشئ الملفف في البجاد

يريد وطب اللبن ،والبجاد كيس يلف فيه ذلك

وأراد الأحنف ب ((السخينة)) أن قريشا كانوا يأكلونها ويُعيرون بها، وهي اغلظ من الحساء وأرق من العصيد وانما تؤكل في كلب الزمان وشدة الدهر^(٢). والسخينة من الطعام الذي يؤكل أوقات الأزمات، ومن الطرافة ماجاء في الخبر عن امرأة وجاريتها ((أعطت امرأة جاريتها درهماً وقالت أشترى به هريسة، فرجعت وقالت: يا سيدتي ! ضاع الدرهم ، فقالت : يا فاعلة : أتكلميني بفمك كله وتقولين ضاع الدرهم ! فأمسكت. الجارية بيدها نصف فمها وقالت بالنصف الآخر وانكسرت الغضارة))^(٣) . فالهدف من الفكاهة هو اثاره الضحك لأنه من الامور المطلوبة في طبيعة الحياة البشرية ولكن ليس دائماً، وانما لها وظيفة أخرى الدعوة الى الاصلاح^(٤) .

(١) ينظر: الفكاهة في الشعر العربي : سراج الدين محمد: ٦.

(٢) أخبار الظراف والمتماجين : ٥٧

(٣) المصدر نفسه : ١٥٠ .

(٤) ينظر : الفكاهة في الشعر العربي: ٥

من الأخبار المشتملة على الفكاهة والسخرية وتأتي الفكاهة أحيانا لإقامة الحجة من غير ترك مجال الجدل، والقصد بهذا ما جاء في هذا الخبر عن شريح، قال: "أقر رجل عند شريح ثم ذهب لينكر، فقال له شريح: قد شهد عليك ابن اخت خالتك" (١).

وكان يقصد قد شهدت على نفسك فإذا أقم الحجة عليه بأنه أقر عنده واعترف مسبقا، فليس له الإنكار بعد ذلك، فكان الجواب من شريح على سبيل الفكاهة والسخرية، فتأتي الظرافة فكاهية ساخرة كما أنها قد تأتي على سبيل الجد.

وفي هذا الخبر الآتي اضطر الأعمش أن يسمع جاره بعض الكلمات التي تدل على بخله، متعمدا ذلك، ولكن كما هو معروف لكل شيء سبب، فقد كان ينتظر الفرصة لتسمح ليقول ما في نفسه، وفعلًا قد أتت وقال ما في خاطره مستظرفا ساخرا، جاء في الخبر: "قال سعيد الوراق: كان للأعمش جار، لا يزال يعرض عليه المنزل، فيقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحا؟ فيأبى عليه الأعمش، فيعرض عليه ذات يوم، فوافق جوع الأعمش، فقال: مر بنا فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحا، إذ سأل سائل فقال له رب المنزل: بورك فيك فلما سأل الثالثة، قال له: اذهب وإلا والله خرجت إليك بالعصا! قال: فناده الأعمش: اذهب ويحك! لا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ سنة يعدني على كسرة وملح، ولا والله ما زادني عليهما" (٢).

فالرجل بخيل فقد قدم كسرة وملحا فحسب، وهذا أقل القليل، بل هو الرفات، وثانيا طرد السائل من على بابه موبخا إياه ومهددا بالضرب بالعصا.

فكان من الأعمش أن وجه الصدمة الثانية للرجل وقال له: اذهب ويحك! لا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه فهو منذ سنة يعدني على كسرة ملح ولا والله ما زادني عليهما.

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦١.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ٦٤.

فكانت الفكاهة وسيلة للأعشى ليعبر عما يجول في نفسه، ووسيلة لابن الجوزي ليظهر مدى أهمية الفكاهة في الطرافة وأخبار الطراف والمتماجنين، وقد تكون الفكاهة وسيلة للبخلاء أنفسهم ليجدوا فيها مهرباً من شيء ما، كما في هذا الخبر: "قال الأعشى لجليس له: تشتهي كذا وكذا من الطعام؟ فوصف طعاماً طيباً، فقال: نعم، فقال فانهض بنا، فدخل به منزله، فقدم رغيفين يابسين وكامخا وقال: كل، قال: أين ما قلت؟ قال: ما قلت لك عندي، إنما قلت: تشتهي".^(١)

فأما هذا الخبر فكاهي في ذاته، بمعنى كانت الفكاهة غايته وانطلق من الجد، وهو كما قال العقاد: "الذي تغلب عليه المقابلة الاسمية بين الضحك والبكاء ثم يتفرع الضحك ويتشعب وتلوح منه الأفانين التي لا يقابلها البكاء في كل حالة، بل يدخل فيها ويحسب منها في بعض الحالات".^(٢)

ومن الفكاهة ما يدخل في الجد على عكس الخبر السابق، ذلك كأن يكسب المرء شيئاً ما بطريق الهزل الذي بدأ فيه الخبر أو بطريق الإضحاك، كما جاء في هذا الخبر: "قال ثمامة: دخلت إلى صديق أعوده وتركت حماري على الباب ولم يكن معي غلام يحفظه ثم خرجت، وإذا فوقه صبي فقلت: اركبت حماري بغير أذني؟! قال: خفت أن يذهب فحفظته لك، قلت: لو ذهب كان أحب إلي من بقاءه، قال: إن كان هذا رأيك فيه، فاعمل على أن قد ذهب وهبه لي واربح شكري، فلم أدر ما أقول".^(٣)

في هذا الخبر كان الاستطراف الفكاهي قول الرجل: لو ذهب كان أحب إلي بمن بقاءه.

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ٦٤ . ٦٥.

(٢) جحا الضاحك المضحك، عباس محمود العقاد،: ٣٦.

(٣) أخبار الطراف والمتماجنين: ١٥٦.

ولكن الجد أتى بعد هذا على لسان الصبي، بأنه طلب الحمار على افتراض أنه ذهب، وهذه ظرافة ثانية في الخبر، وهي الظرافة المقصودة من ذكر هذا الخبر.

ويبدو أن الصبي استعمل نقطة الضعف في قول الرجل، ولعل هذا القول ينطبق هنا: "يتخيرون بعض جوانب الضعف في أصدقائهم فيتتدرون بها أو يتخذون خصلة اشتهر بها الصديق ملائمة للدعابة فيسخرّون منها تضخيماً أو قلباً أو عكساً أو يعمدون إلى شيء يعتز الصديق بامتلاكه وليس . في نظرهم . جديراً بهذا الاعتزاز فيجعلونه مادة لتندرهم، ويبالغون في اعتزاز الصديق لما يمتلك.

وإذا كان الغرض هو الدعابة فإنها تحتاج إلى مهارة في التغيير والتصوير بحيث لا يؤذي الصديق ولا تغض من قدره (١).

وكانت الفكاهة تستعمل للمدح أحياناً، وقد يكون ذلك في مجالس بعض الخلفاء كهذا الخبر: "قال المتوكل يوماً لجلسائه: أتدرون ما الذي نغم المسلمون على عثمان، أشياء منها أنه قام أبو بكر دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمراقبة، ثم قام عمر دون أبي بكر بمراقبة، فصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عبادة: ما أحد أعظم منه عليك يا أمير المؤمنين من عثمان، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه صعد ذروة المنبر، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله (٢).

فكانت الفكاهة محط نظر المؤلف في انتقاء أخباره في الكتاب ليؤكد أنها من الظرافة، وقد يحسن الجواب بها، وأحياناً يعطي الكلام بها مغزى فيما لا يعطيه بالجد، وأراد المؤلف من تنويع أخباره، المشتعلة على الظرافة لأن يقول بلسان الحال: إنها ممكنة في جميع الطبقات الاجتماعية سواء أكانت في مجالس الولاة أم العلماء والنحاة أو العوام

(١) الفكاهة في الأدب، أصولها وأنواعها، أحمد الحوفي، : ١٠٥.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٣٣ - ١٣٤.

ثانياً: مرجعية النسب الاشوي الاجتماعي:

لقد خصص ابن الجوزي قسماً من الكتاب لما يذكر عن النساء، وهو أحد أقسام الكتاب الخمس معرفة منه لما تؤديه المرأة من دور فاعل في المجتمع، ولما لها أثر أيضاً في شؤون المجتمع العامة، نحو رواية أحاديث خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وغير ذلك، ولما تمتلكه من ذكاء وفطنة لا تقل عن الرجال في مجتمع أي عصر من العصور، وقد افتح ابن الجوزي أخبارهن بهذا الخبر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " قالت عائشة: يا رسول الله! لو نزلت وادياً فيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منه، في أي شجرة كنت ترتع بعيرك؟ قال: (في التي لم ترتعimenها). يعني أن النبي (ﷺ) لم يتزوج بكرة غيرها".^(١)

والخبر الذي يليه في الكتاب عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فقد أراد ابن الجوزي ترتيب أخبار النساء في كتابه حسب درجاتهن أو منزلتهن في الإسلام، فبدأ بهذا الخبر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي يظهر فيه حياؤها من السؤال عن مرادها صراحة، فاستعاضت بالكناية عن ذلك، وفي ذلك براعة وبلاغة وظرافة في الكلام، ثم تلاه بخبر عن أسماء بنت أبي بكر وهكذا... ليطل للعوام.

ولم يكتف ابن الجوزي بإظهار الظرافة في أخبارهن نثراً بل تطرق إلى الشعر، فمنهن شاعرات تجدن نظمهن وتحسن سبك القوافي، ومن ذلك هذا الخبر: " عن ابن السكيت أن محمد بن عبد الله بن طاهر عزم على الحج، فخرجت إليه جارية شاعرة، فبكت لما رأت من آلة السفر، فقال محمد بن عبد الله:

دمعة كاللؤلؤ الرطـب ب على الخد الأسيل
هطلت في ساعة البـيـد ن من الطرف الكحيل

(١) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٤٣.

ثمَّ قال لها: أجيزي، فقالت:

حين همَّ القمر البا هر عنَّا بالأفول

إنَّما يفتضح العشد إاق في وقت الرحيل^(١)

فإذن يتحدث هذا الخبر هو بنفسه عن بلاغة إحدى الجاريات الشاعرات، وعن حسن نظمها الشعر والقافية والروي والبحر المتوافقان مع ما سبقه من قول محمد بن عبد الله، وبادلته أيضاً بالمشاعر نفسها، وهذا من حسن بلاغة نساء العرب، ومن حضور النسق الأنثوي البارز في الكتاب. فالمرأة تنماز بخصائص فكرية وعاطفية، وتقوم بوظائف تناسب طبيعتها وتكوينها^(٢). وكانت منزلة المرأة في العصور العباسية بصورة عامة تختلف عن منزلتها في العصور السابقة ، لأنها تمسكت بالشريعة الإسلامية^(٣) ومنها الحفاظ على مهر النساء حسب تعاليم الدين الاسلامي كما ورد في قول عمر بن الخطاب ((قال عبد الله بن مصعب : قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وان كانت بنت ذي الغُصة^(٤). يعني يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة ما ذاك لك ، قال: ولم ؟ قالت لأن الله عزوجل قال ﴿ وَكَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾^(٥) فقال عمر: امرأه أصابت ورجل أخطأ^(٦))). وعلى الرغم من أهمية المرأة في المجتمع إلا ان نظرة المجتمع تبقى متجهة الى الاعلاء من دور الرجل على المرأة .

(١) اخبار الظراف والمتماجنين: ١٤٥.

(٢) المرأة في الحضارة الاسلامية، أ.د. على جمعة ٩٠

(٣) دور المرأة السياسي في العصر العباسي : مليحة رحمة ، ٧٥٧

(٤) ذو الغصة: هو الحصين الحارثي ولقب بذلك لان في حلقه شبه الحوصلة، ينظر: اخبار الظراف الحاشية: ١٤٤

(٥) سورة النساء : الاية : ٢٠ .

(٦) اخبار الظراف والمتماجنين : ١٤٣

وثمة خبران يدلان على فطنة المرأة وذكاؤها ونقدها اللاذع لكبار الشعراء أحدها يمزج بين الطرافة والفطنة ((قال القحذمي : دخل ذو الرمة الكوفة فبينما هو يسير في بعض شوارعها على نجيب له، إذ رأى جارية سوداء واقفةً على باب دار، فاستحسنها، فدنا منها فقال : يا جارية اسقني ماء ،فاخرجت اليه كوزاً فشرب. وأراد ان يمازحها، فقال: ما أحر ماءك فقالت لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك و تركت حر مائي وبرده، فقال لها، وأى شعري له عيب؟ فقالت ألسنت ذا الرمة؟ قال بلى ! قالت

فأنت الذي شبّهت عنراً بقفرةٍ لها ذنبٌ فوق استها أمّ سالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها وطبيين مسّودين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكن منك يتركاً بجلدك يا غيلان مثل المناسم

قال : نشدتك الله إلا أخذت راحلتي هذه وما عليها ولم تُظهرى هذا))^(١). والخبر الثاني مايروى عن المبرد((قال المبرد: كنا عند المازني فجاءته أعرابية كانت تغشاه ويهب لها، فقالت: أنعم صباحك أبا عثمان هل بالرمل أوشال ؟ فقال لها يجي الله به فقالت:

تعلّم والذي حج القوم لولا خيال طارقٍ عند النوم

والشوق من ذكراك ما جئت اليوم

فقال المازني: قاتلها الله! ما أفطنها! جاءتنى مستمنحةً فلما رأت أن لا شئ جعلت المجئ زيارة تمن بها على. قال اليشكري: الأوشال جمع وشلٍ، وهو الماء القليل وهو مثل هنا، أي عندكم من ندى؟^(٢). فهذه الأخبار التي خص بها ابن الجوزي فصلاً عن النساء أظهر فيها ثقافة المرأة الدينية ، والنقدية و حكمتها ايضاً

(١) أخبار الطراف والمتماجنين: ١٤٤

(٢) المصدر نفسه: ١٤٥ وينظر لسان العرب مادة وشل ١٥، ٣١٠

ثالثاً: مرجعية العادات والتقاليد الاجتماعية.

يكشف لنا الكتاب عن عادات وتقاليد اجتماعيه كانت ولا زال بعضها سائراً إلى يومنا هذا ، و من بروز هذه العادات والتقاليد هي عادة شراء الجواري فهي من العادات التي شاعت في المجتمع العباسي بشكل لافت للنظر مما يذكر انها تمثل اعداد كبيرة ، فكان يمتلكها الخلفاء ونساءهم ، للتفاخر والتباهي أمام بقية النسوة^(١) . ((قال الجاحظ : طلب المعتصم جارية كانت لمحمود الوراق وكان نخاساً، بسبع الآلاف ديناراً ، فأمتع من بيعها ، فلما مات محمود اشترى للمعتصم من ميراثه بسبع مئة دينار ، فلما دخلت اليه قال لها كيف رأيت؟ تركتك حتى أشتريتك من سبعة الآلاف بسبعة مئة قالت: أجل اذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث فان بسبعين ديناراً كثيراً ثمنى فضلاً عن سبع منه فاخجلته))^(٢) . فيتبين لنا في هذا مدى اهتمام الناس من الطبقة العليا الوسطى شراء الجواري حتى ملأ القصور والبيوت .

ومن العادات الأخرى هي عادة التكسب أو الاستجداء تعد ظاهرة التكسب ملمحاً بارزاً من ملامح الشعر منذ بدايته الاولى حيث رافقت هذه الظاهرة شعر المديح عند بعض الشعراء منذ العصر الجاهلي ، واستمرت الى العصور المتتالية ، فكان الشاعر اذا ما أراد العطايا والهبات من الممدوح يثني على ممدوحه في قصائده، وهذا الثناء منه ما كان كذباً وفيه مغالاة من اجل التقرب من الممدوح والحصول على اعطياته^٣. كالخبر الذي ورد عن ابي دلامة ((وبلغنا عن ابي دلامة أنه دخل على المهدي ، فأنشده قصيدة ، فقال له : سلني حاجتك فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي كلباً ، فغضب ، وقال : أقول لك سلني حاجتك، فتقول هب لي كلباً ؟! فقال يا أمير الحاجة لي أو لك قال: لك، قال: اسألك ان تهب لي كلب صيد فأمر له بكلب ؟

(١) دور الجواري والقهرمانات في الخلافة العباسية : د. سولاف فيض الله : ٥٢

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين: ١٥١

(٣) ظاهرة التكسب عند شعراء الدولة الفاطمية: الهام سليم جامعة البلقاء، الأردن، مجلد ٥١ ، عدد يناير ٢٠٢٣ : ٧١

قال : يا أمير المؤمنين هبني خرجت الى الصيد اعدو على رجلي؟ فأمر له بدابة ؟ فقال فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام فقال : يا أمير المؤمنين فهبني صدت صيداً فأتيت به المنزل ، فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال : هؤلاء اين يبيتون؟ فأمر له بدار.....^(١) فقد لازمت هذه العادة الشعراء من اجل الحصول على الاموال وتعد من أبرز العادات التي كانت سائدة، وهناك عادة اخرى أشبه بعادة التكسب وهي عادة القراءة عند القبور، حيث يقوم الشخص بقراءة . آيات من القرآن الكريم على قبر المتوفى مقابل أجر من المال أشار اليها ابن الجوزي في كتابه ((قال عبد الرحمن بن مخلد دفعت امرأة الى رجل يقرأ عند القبور رغيفاً ،وقالت له : اقرأ عند قبر أبنی فقرأ ﴿ يَوْمُ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ^(٢). قال : فقالت له: هكذا يقرأ عند القبور

!؟

فقال لها فأيش أردت برغيف ﴿ مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاشُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ ^(٣) ذاك بدرهم))^(٤) فهذا الخبر يوضح مدى بخل الرجل وطمعه ، وحبه للمال فضلاً عن انه واحد من أجمل الاخبار التي ذكرت في الكتاب.

وهناك عادة اخرى هي عادة الضيافة أو اكرام الضيف ،وهي من العادات المعروفة عند العرب منذ العصر الجاهلي ، وروى ابن الجوزي ((قال إبراهيم بن المنذر الحزامي : قدم اعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وبنتان قال: فقلت لامرأتي أشوى دجاجة وقدميها الينا نتغدى بها وجلسنا جميعاً ودفعنا اليه الدجاجة فقلنا : أقسمها بيننا، نريد بذلك أن نضحك منه ،قال لا أحسن القسمة فان رضيتم بقسمتي قسمت بينكم قلنا : نرضى ، فأخذ رأس الدجاجة فقطعه فناولينه وقال الرأس للرئيس ، ثم قطع

(١) أخيار الطراف والمتماجنين: ١١٩.

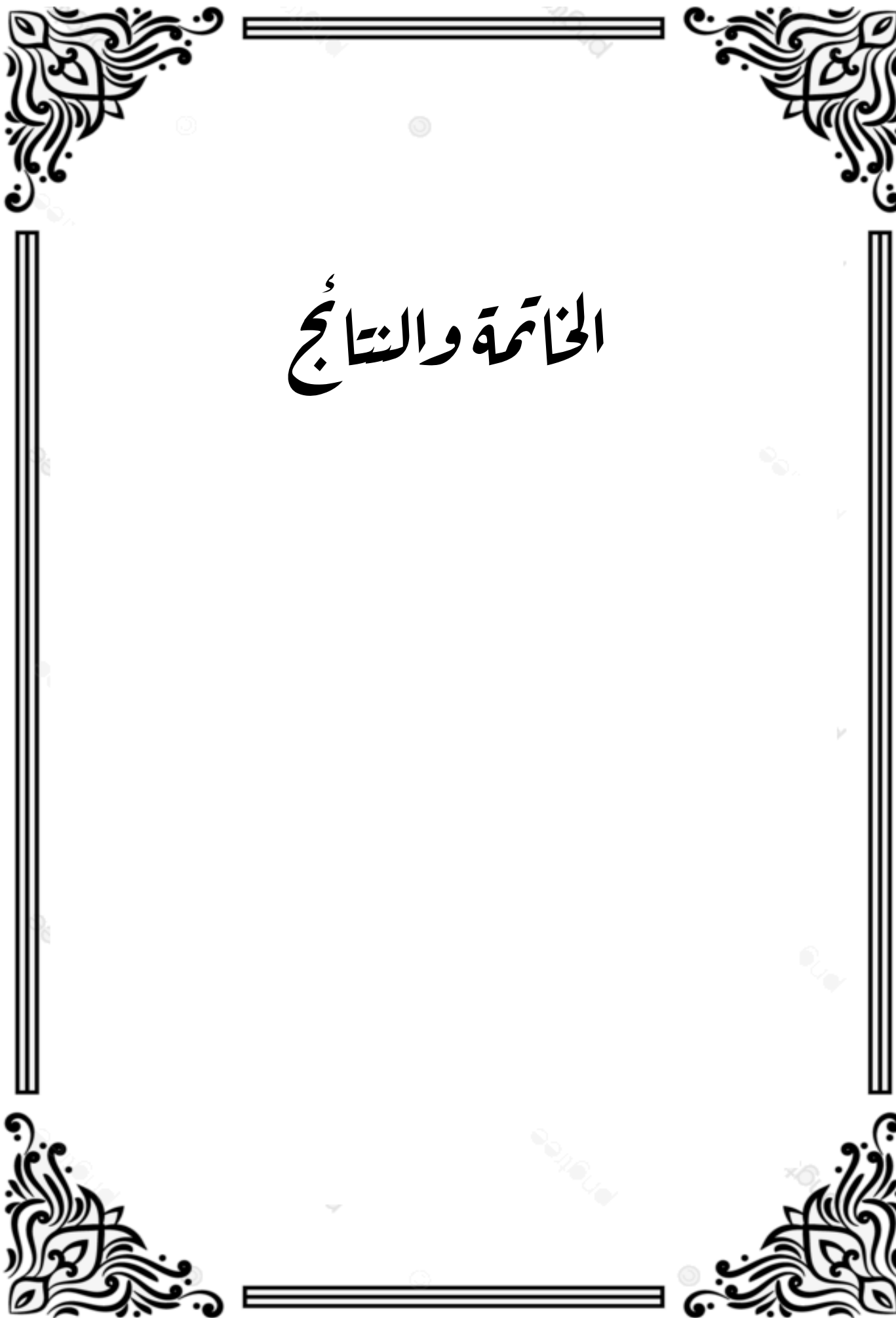
(٢) سورة القمر : الآية : ٤٨.

(٣) سورة الرحمن : ٥٤ .

(٤) أخيار الطراف والمتماجنين: ١٣٦.

الجناحين وقال الجناحان للأبنين ، ثم قطع الساقين وقال : الساقان للأبنتين ثم قطع الزمكى وقال: العجز للعجوز ، ثم قال الزور للزائر، فلما كان من الغد قلت لأمرأتي : أشوي لي خمس دجاجات فلما حضر الغداء قلنا : اقسم بيننا ، قال : شفعاً أو وترأ ؟ قلنا وترأ ، قال: انت وأمراتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى بدجاجة ، وقال: ابنك ودجاجة ثلاثة ، ورمى اليهما بدجاجة وقال ، وانتاك ودجاجة ثلاثة ، ثم قال أنا ودجاجتان ثلاثة ، فأخذ الدجاجتين ، فرأنا ننظر الى دجاجتيه فقال: لعلكم كرهتم قسمتي بالوتر قلنا: اقسمها شفعاً ، فقبضهن اليه ثم قال: انت وابنك ودجاجة أربعة ورمى لنا دجاجة ، ثم قال والعجوز وابنتاها ودجاجة اربع ، ورمى اليهم دجاجة ، ثم قال وأنا وثلاث دجاجات أربعة ، وضم ثلاث دجاجات ثم رفع رأسه الى السماء وقال الحمد لله أنت فهمتنيها))^(١) فهذه المرجعيات من خلال تتعكس على الواقع الاجتماعي كانت هادفه في اغلب الاحيان عكست ما يدور في ذلك المجتمع من جوع وبخل ، و فقر ، و ظرافة، وحكمة وغيرها .

(١) أخبار الظراف والمتماجنين : ١١٢



الخاتمة والنتائج

الخاتمة

لقد برهنت هذه الدراسة على أن كتاب «أخبار الظراف والمتماجنين» يعدّ من أغنى مناهل التراث الإسلامي في فنون الظرافة والتوجيه، بفضل احتضانه لمرجعيات ثقافية متنوّعة. فقد شكّلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأسس الفقهية نبراساً دعوياً وأخلاقياً، بينما أسهم النثر الحكائي والأمثال والحكم في جعل النصّ ممتعاً وسلساً. وكان للشعر حضورٌ فنيٌّ ينوع إيقاعات الموضوعات، فيما ربطت الإشارات إلى الوقائع التاريخية والاجتماعية بين الكتاب وواقع القارئ، فصاغت نصّاً ترفيهياً توجيهياً متكاملًا.

وتؤكد هذه النتيجة أن القيمة الأدبية لكتاب ابن الجوزي لا تقوم على الظرافة وحدها، بل على فن الدمج المنهجي بين المرجعيات، ما يجعله نموذجاً لقراءة أكثر عمقاً لأدب المماجنات، ويعزز فهمنا لدور المعرفة المرجعية في بلورة خطاب إسلامي نابض بالحكمة والمرح معاً. ويمكن أن نذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها دراستنا :

١. تبين أن المرجعية القرآنية تقدم أساساً دعوياً وأخلاقياً يصوغ نبرة الكتاب ووزنه.
٢. استُخدمت القصص القرآنية كأماكن استطرادية تربط الموعظة بالسياق القصصي، فتخدم هدف التوجيه والتأصيل.
٣. لعبت الأحاديث النبوية التشريعية دورَ العمود الفقري في بناء الإطار الأخلاقي والفقهي للظراف .

٤. ذكر الأحاديث النبوية اوضح مدى تأثر الناس بها وادراكهم بمضامينها إضافة الى انها أثرت النصوص الخبرية قوة وجمالاً.

٥. توغلت المرجعية النظرية الخبرية في نسج الأخبار الطريفة والمواقف المدهشة بأسلوب سلس مفصل.

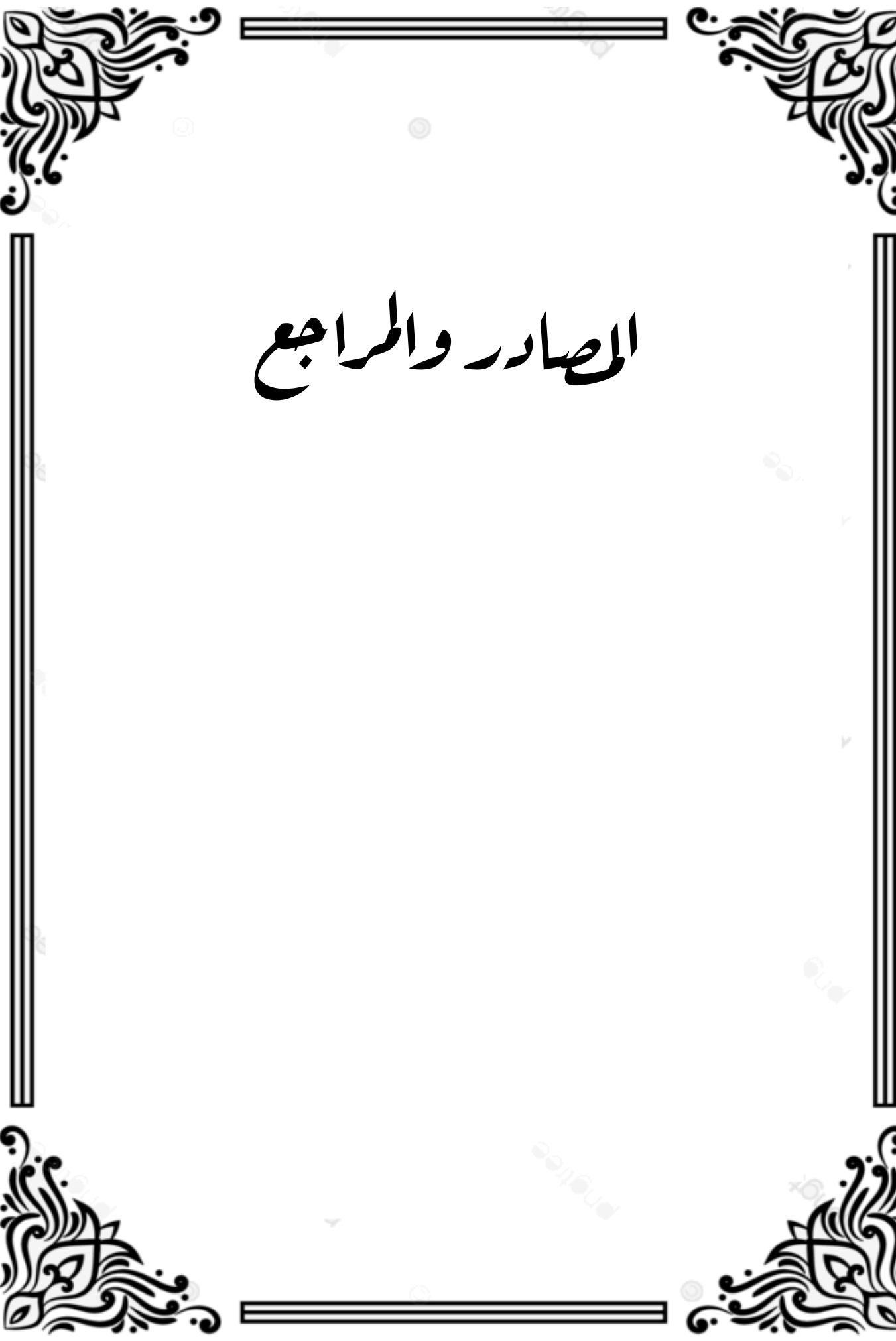
٦. كان للمرجعية الادبية حضور فاعل حيث وظفت شعراً ونثراً. من حكايات وحكم وأخبار وأوضحت مدى تعلق الناس بالشعر ومدى شاعريتهم فهم يكتبون حتى في أبسط المواقف .

٧. استُعير الشعر في الكتابات الهجائية والمدائحية، فانتسعت دائرة الاستشهاد بالشعر بنوعيه القديم والمعاصر.

٨. وثق المؤلف الاحداث الاجتماعية من فقر وجوع ، وبخل ليضيفي على نصه طابعاً واقعياً وجدلياً .

٩. كانت المرجعية الفكاهية أشد حضوراً من المرجعيات الأخرى جسدت الواقع الاجتماعي والسلوكيات السائدة في العصر.

١٠. تجلّى التوازن بين الترفيه والتوجيه في انتقاء المراجع وتوظيفها، فكان الدمج منهجياً لا عبثياً.



المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، محمد رضا ، دار الكتب العلمية بيروت

، د.ط ، ١٩٨٣ م.

٢. اتجاهات الشعر الموضوعية في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة،

دار المعارف، ١٩٦٣ ، القاهرة ، ط ١

٣. إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، عناية محمد بن سليمان مال

الله، مكتبة لسان العرب، ط ١، ٢٠٠٩

٤. أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب الادبي، فاتح زيدان، السعودية (د.ط) ١٤٩٧

هـ .

٥. أخبار الأذكياء لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، ط ١ ، ٢٠٠٣ دار ابن حزم للطباعة

والنشر

٦. أخبار الظراف والمتماجنين، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، بعناية:

بسام عبد الوهاب الجابي ، دار الجفّان والجابي للطباعة والنشر - دار ابن حزم

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١ ١٩٩٧،

٧. الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، د. عبد المنعم خفاجي، دار

الجليل، بيروت، ١٩٩٠ ، ط ١

٨. الادب الفكاهي، عبدالعزيز، مقدمة الكتاب، ط١، الشركة المصرية للنشر ١٩٩٢
٩. اساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨
١٠. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧، (د . ط)
١١. أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى، ١٩٨٨
١٢. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، البكري الدمياطي . تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنات ، ١٩٩٧، ط ١
١٣. الاقتباس انواعه وأحكامه ، عبد العزيز عبد المحسن ط١، المنهاج النشر ١٤٢٥ هـ .
١٤. الاقتباس من القرآن في الشعر : عبد الهادي الفكيكي ، ط١، دار النмир للنشر سوريا ١٩٩٦ م .
١٥. الانسان والسلطة (اشكالية العلاقة واصولها الاشكالية) : حسين صديق ، اتحاد الكتاب العرب للنشر، دمشق، (د.ط) ٢٠٠١ م
١٦. بحوث في الأدب الجاهلي، إبراهيم أبو الخشب، وعبد المنعم البهتي، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ط١، ١٩٦١.
١٧. البخلاء، الجاحظ، (٢٥٥هـ) تحقيق طه الجابري، دار المعارف، مصر، ط٥(د.ت)

١٨. البداية والنهاية : اسماعيل بن عمر بن كثير / تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد

المحسن ,دار هجر للطباعة , الجيزة , ١٩٩٧ (د.ط)

١٩. البصائر والذخائر، ابوالحيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) ،تحقيق احمد امين

،ط١ القاهرة . مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر , ١٩٥٣ .

٢٠. تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ،تحقيق مصطفى عبد القادر

،ط١، ١٩٩٧

٢١. تأويل الثقافات ، كليفورد غيرتز، ترجمة محمد بدوي ، المنظمة العربية ط١ ، لبنان

، ٥٠٩ ،

٢٢. تذكرة الحفاظ : محمد بن احمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ،ط٢ :مجلس دائرة المعارف

،الهند (١٣٣٤ هـ)

٢٣. تلخيص المفتاح ، محمد بن عبد الرحمن القزويني ، مطبعة مصطفى الحلبي .،

مصر (د.ت) ، د.ط

٢٤. التناص نظرياً وتطبيقاً، الدكتور أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر، الأردن،

. :٢٠٠٠

٢٥. تيسير العلام شرح عمدة الاحكام، أبو عبد الرحمن عبدالله بن عبد ، ، القاهرة ،

دار العالمية، ط١ ، ٢٠١٨ م.

٢٦. الثقافة ، القيم ، المجتمع : د . نعمان عبدالرزاق السامرائي : دار الحكمة ، لندن

، ط١ ، ٢٠٠٠

٢٧. الثقافة الإسلامية، محمد راغب الطبايع (ت ١٣٧ هـ) ، ط١، مكتبة

اسماعيل، برطانيا، تحقيق أبو سهل محمد ٢٠٢٢.

٢٨. الجامع لشعب الإيمان، تحقيق عبد العلي، الرشيد للنشر، ط ١، ٢٠٠٣

٢٩. جحا الضاحك المضحك ، عباس محمود العقاد (ت ١٣٨٣ هـ) دار نهضة مصر

د. ط، ٢٠١٣

٣٠. جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة

المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥

٣١. جماليات التلقي في السرد القرآني، بادكار لطيف الشهرودي، دار الزمان، دمشق،

ط ١، ٢٠١٠

٣٢. جماليات المكان : احمد طاهر واخرون ،دار قرطبة ط ٢، ١٩٨٨

٣٣. جمهرة انساب العرب ، ابن حازم ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٥ ، ط ١

٣٤. دراسة الادب العربي : مصطفى ناصف : الدار القومية : القاهرة : د. ط . د. ت

٣٥. دور الجواري والقهرمانات في الخلافة العباسية د. سولاف فيض الله ، دار عدنان

، ط ١، ٢٠١٣ ، بغداد

٣٦. الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية: د. محمد خاتمي، ط١، نهضة مصر

للطباعة، ١٩٩٩

٣٧. ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن يسج، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط ٨، ٢٠٠٢

٣٨. ديوان ابي نؤاس: حققة وضبطة وشرحة احمد عبدالمجيد الغزالي ,مطبعة مصر

١٩٥٣ (د.ط)

٣٩. ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب, دار الثقافة , بيروت ,

ط١, ١٩٦٠

٤٠. ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني، تحقيق خليل إبراهيم العطية، مطبعة أسعد،

بغداد، ط١، ١٩٦٢

٤١. ديوان النابغة الذبياني ،دار المعارف ،محمد أبو الفصل ،ط٢ القاهرة (د.ت)

٤٢. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه أ. مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط٤ , ٢٠٠٥

٤٣. ديوان جرير،دار بيروت ،كرم البستاني ١٩٦٨م. ط٢

٤٤. ديوان حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، اعتنى به وحققه عادل سليمان جمال،

مطبعة المدني، القاهرة، ١٦٨.(د.ط)

٤٥. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٤٦. ديوان عبدالله بن رواحة , تحقيق محمد علي القطب , المكتبة العصرية , بيروت

ط١ , ٢٠١٠

٤٧. ديوان عدي بن الرقاع العاملي : جمع وشرح ودراسة: حسن محمد نور الدين :

دار الكتب العلمية : بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

٤٨. ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ١، ١٩٩١

٤٩. ديوان مروان بن ابي حفصة ،تحقيق د.حسين عطوان، ط ٣، دار المعارف

النشر.مصر ١٩٧٣ .

٥٠. الذيل على طبقات الحنابلة : عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥

هـ) تحقيق محمد حامد الفقهي ، مطبعة السنة المحمدية ، (د.ط) ١٩٥٢ م .

٥١. الرواية في المستدرك ،تحقيق الفريق العلمي لمكتبة خدمة السنة، ط ١، دار المنهاج

القومي.

٥٢. سلسلة الاحاديث الضعيفة للألباني: مكتة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٢ م

٥٣. سليمان عليه السلام : النبي الملك : منصور عبد الحكيم : دار الكتاب العربي

(د.ط)، القاهرة ، ٢٠١٣

٥٤. سنن أبي داود محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت (د،ط)

٥٥. سنن الترمذي، شعيب الارنؤوط، دار الرسالة، ط ١ ، ٢٠٠٩

٥٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، رتبته واعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية،

السعودية والأردن، ٢٠٠٤.

٥٧. ، سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق د. بشار عواد مؤسسة الرسالة

للطبع ، بيروت، ١٩٨٤ م . ط١

٥٨. شذرات الذهب في اخبار من ذهب : عبد الحي بن العماد الحنبلي ، عبد القادر

، دار ابن كثير،،بيروت ، ط١، ١٩٨٦

٥٩. شرح البيهقيونية، محمد حسن عبد الغفار، دروس مكتوبة ومسجلة صوتيا، المكتبة

الشاملة <http://www.islam web .net>

٦٠. شرح صحيح مسلم، حسن الزهيري أبو الأشبال، دروس مكتوبة ومسجلة موقع

الشبكة الإسلامية،(المكتبة الشاملة) دروس صوتية <http:// wwwIslamweb.net>

٦١. شرح النووي في صحيح مسلم مؤسسة قرطبة للطباعة ، ط٢، ١٩٩٤ م

٦٢. صحيح البخاري ،مصطفى ديب،ابن كثير، ط٥. ١٩٩٣ م.

٦٣. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف : الرياض ، ط١

٢٠٠١،

٦٤. صحيح سنن الترمذي للألباني ،مكتبة المعارف للنشر ،عمان الأردن ، ط١

٢٠٠٠م

٦٥. الصورة والبناء الشعري، د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، ط١،

١٩٨١ .

٦٦. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ، تحقيق محمد عبد القادر ،دار الكتب اعلمية

بيروت ١٩٩٠ ط١

٦٧. طبقات المفسرين : جلال الدين السيوطي،وزارة الأوقاف السعودية،دار النوادي

الكويتية،٢٠١٠م.

٦٨. الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حموي القيسي، عالم الكتب، ١٩٨٤، ط٢:

٦٩. الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس صلاح الدين المنجد،مطبعة الرسالة .دمشق

(د.ط) (د.ت)

٧٠. العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، د.ط، ٢٠١٢

٧١. العلاقات بين النصوص في التأليف العربي، كمال عرفات نبهان، العربي للنشر

القاهرة، ١٩٩٣.:

٧٢. علم النص , مدخل متداخل الاختصاصات , تون فاي دايك، ترجمة: سعيد بحيري

, ٢٠٠١.:

٧٣. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريدا الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب ،

٢٠١٤، ط٣

٧٤. الغزل في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الخوفي، دار القلم، بيروت : (د.ط)(د.ت)

٧٥. الغزل في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ،

لبنان (د.ط) (د.ت)

٧٦. الفكاهة في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، لبنان ، د.ط. ، د.ت.

٧٧. الفوائد ، ابي عبد الله بن القيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) تحقيق محمد عزيز ، دار علم الفوائد ، جدة (د.ط) (د.ت)

٧٨. فوات الوفيات، ابن شاکر الکتبی، تحقیق إحسان عباس، دار صادر بیروت(د.ط)<د.ت)

٧٩. في تحليل الخطاب الشعري ، دراسة سيميائية ، عصام واصل ، دار التنوير ، ط١ ، الجزائر ، ٢٠١٣

٨٠. قصص الحيوان في القرآن، أحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٩٩٥ م

٨١. القصص القرآني، د. محمد كريم الكواز، بغداد، ٢٠١٤، د.ط .

٨٢. كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٠هـ) ،دار الهلال،ت،مهدي المخزومي،ابراهيم السامرائي. (د.ت) ، ط١

٨٣. كتاب علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم ،دار النابغة،مصر، ١١، ٢٠١٨.

٨٤. الكلام والخبرمقدمة السرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي ، ط١ ، ١٩٩٧ ، بيروت ،

٨٥. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: د. يوسف البقاعي + إبراهيم شمس الدين،

نضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط١ ، ٢٠٠٥

٨٦. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب : ذهبية حمو الحاج ، ط٢ ، الأمل للطباعة والنشر .

٨٧. مختار الصحاح : محمد بن يحيى الرازي ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٢ .

٨٨. مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، د. نسيب نشاوي ،

ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤

٨٩. المديح في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان

، (د.ت) ط ١

٩٠. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د. محمد شكري عياد ، عالم المعرفة ،

الكويت ، ١٩٩٠

٩١. المرأة في الحضارة الإسلامية بين نصوص الشرع وتراث الفقه ، أ.د. علي جمعة ،

مصر ، د.ط ، د. ت .

٩٢. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : يوسف بن علي المعروف بسبط ابن الجوزي :

(ت ٦٥٤ هـ) تحقيق إبراهيم الزبيق ، الرسالة العلمية ، سوريا ، ط ١ ، ٢٠١٣ م

٩٣. مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث : بشير ابريز ، مجلة علامات في النقد ،

السعودية مجلد ١٣ ، عدد ٤٩ ، ٢٠٠٣ م

٩٤. مرجعيات ثقافية في الرواية الخليجية : فهد حسين ، بيت الغشام ، عمان ، ط ١ ،

٢٠١٦

٩٥. المسألة الثقافية من اجل بناء نظرية في الثقافة ، زكي ميلاد ، مركز الحضارة

لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١٠

٩٦. مستدرك الحاكم النيسابوري ، دار المنتج القويم، تحقيق القسم العلمي لمكتب،خدمة

السنة، ط١، ٢٠١٨ .

٩٧. المستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأشبهي، دارالمعرفة ، بيروت لبنان ،

تحقيق محمد الحلبي ط٥ ، ٢٠١٨ م

٩٨. مشكلة الثقافة : مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط٤١٩٨٤.م، عبد الصبور شاهين.

٩٩. المصطلحات الاساسية : خليل احمد خليل ، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٥م.

١٠٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، مكتبة لبنان ، د.

ط، ١٩٩٧

١٠١. معجم المصطلحات العربية : سعيد علوش ، ابراهيم فتحي، التعاضدية العالمية

للطباعة والنشر، ط١. ١٩٨٦م.

١٠٢. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس،

مكتبة لبنان، ١٩٨٤

١٠٣. المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية - بيروت،

د.ط، ١٩٩٩

١٠٤. المعجم الوسيط : ابراهيم انيس ، ط٢، حسن علي عطلة .

١٠٥. معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس بن زكريا ، دار الفكر، عبد السلام هارون،
١٩٧٩ ، د.ط .

١٠٦. المغرب العربي وقضايا الحداثة، عبد الكبير الخطيبي، دار الجميل، بيروت، ط١،
٢٠٠١

١٠٧. مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، الدكتور حسين عطوان، دار
المعارف، مصر(د.ط)

١٠٨. ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، ت. س . اليوت ، ترجمة شكري عياد ، التنوير
، ط١ ، ٢٠١٤ ، لبنان بيروت

١٠٩. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر ١٩٩٢
دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط١

١١٠. مؤلفات ابن الجوزي : عبد الحميد العلوجي ، شركة دار الجمهورية النشر
والطبع، بغداد، ١٩٦٥ م .

١١١. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢ هـ
(: الاعلامي للطباعة ط٣ ، ١٩٧٣ بيروت لبنان

١١٢. نظرية الأدب، رينيه ويليك + أوستن وارن، ترجمة: محيي الدين صبحي، هدية:
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، د.ط، د.ت، .

١١٣. النقائض، أبو عبيدة معمر بن المثنى، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار
الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨

١١٤. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الساقى، القاهرة، ١٩٩٩
١١٥. النقد الثقافي، عبد الله الغزامي المركز الثقافي العربي ط١
١١٦. نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ)، ، تحقيق ابراهيم الايباري ، دار الكتاب، بيروت، ١٩٩٨، ص، ٣٠٩
١١٧. الهجاء والهجائون في الجاهلية، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب مصر، ط٢، ١٩٨٤ م.
١١٨. الوافي بالواقيات : صلاح الدين خليل الصفدي ، ، احمد فؤاد السيد ، دار صاد، بيروت ، ط٢ / ١٩٩١ م .
١١٩. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق أحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٧ م ، د.ط

البحوث الاكاديمية

١. الاقتباس من القرآن في أدعية الصحيفة السجادية: خولة مهدي : مجلة كلية التربية،

جامعة واسط ، مجلد ٦ ، عدد ٢٤ ، سنة ٢٠١٦

٢. التعالق النصي في الخطاب الشعري، مقارنة نقدية، الدكتور يوسف اسماعيل، اتحاد

الكتاب العرب، مجلة الاتحاد، العدد ٨٦، عام ٢٠٠٣.

٣. تجليات السخرية في ادب عاصم حنفي ،د. امين إسماعيل ،مجلة كلية اللغة العربية

(علمية محكمة) العدد السابع والثلاثون ، الإصدار الثالث ، ٢٠٢٤

٤. التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر، عزة محمد جدوع، مجلة فكر

وإبداع، الكويت، عدد ١٩، ١٩٥٣

٥. جماليات المكان في الشعر الجاهلي ، انغام جبار ، جامعة القادسية ، كلية التربية

٢٠١٨ م.

٦. خصوصية المكان المفتوح في السرد النسوي ،مقاربة سردية لثلاثية أحلام مستغانمي

،سهيلة بو ساحة ،جامعة محمد البشير ، المجلد ٩، العدد ١ ، ٢٠٢٣ م.

٧. دور المرأة السياسي في العباسي الثاني :د. مليحة رحمة الله ، جامعة بغداد ، كلية

الاداب ، مجلد ٢ ، عدد ١٤

٨. شعراء الزهد والمجنون في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري : دراسة

مقارنة تحليلية / د . حمدة مشارك الرويلي : جامعة الحدود الشمالية السعودية

مجلة بحوث كلية الآداب ، مجلد : ٣١ ، العدد ١٢٠ ، السنة : ٢٠٢٠

٩. العتاب في الشعر العباسي، رائدة مهدي جابر، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة

بابل، العدد: ١، كانون الثاني ٢٠١٣.

١٠. الفكاهة والضحك رؤية جديدة، د. شاكِر عبد الحميد، عالم المعرفة - الكويت،

عدد: ٢٨٩،

١١. الفكر العربي مدخل العصر الحجري، حسين مؤنس، مجلة أكتوبر، القاهرة، ع

٣٩٩، ١٩٨٤

١٢. ظاهرة التكسب عند شعراء الدولة الفاطمية : الهام إسلیم ، جامعة البلقاء ، الأردن

- عمان ، حوليات آداب عين الشمس مجلد ٥١، عدد يناير ٢٠٢٣

١٣. المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي ، محمد خرماش ، ٩٢ مجلة

الشارخ حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٣٨ ، اصدار ١٩٩٥ :

١٤. المرجعية معناها واهميتها واقسامها ، سعيد بن ناصر الغامدي ، مجلة جامعة ام

القرى ، العدد ٥٠ (١٤٣١ هـ)

١٥. منظور التناص وحوارية الاقصاء الفني للهيمنة ، صالح زياد، سلسلة الآداب

واللغويات أبحاث اليرموك ، مجلد ١٩ ، عدد ١٤ ، عام ٢٠٠١

١٦ . المرجعيات الدينية في مقامات زين الدين بن الوردي ، كريمة نوماس المدني ، مجلة

جامعة اهل البيت (عليهم السلام) عدد ١٧ .

Abstract

This thesis, entitled “Cultural References in the Book of News of the Witty and the Cheerful” by Abu al-Faraj Abd al-Rahman Ibn al-Jawzi, reviews the spectrum of sources upon which the author based his literary output. Based on the premise that this book is not limited to a collection of anecdotes and anecdotes, but rather is an integrated knowledge network replete with Quranic quotations, prophetic stories, and legislative hadiths, in addition to relying on jurisprudence and worship, narrative prose, proverbs and wisdom, and poetry in its various forms, as well as historical events and social phenomena of the author's era.

The study adopted the descriptive analytical comparative approach, collecting reference texts from the book and comparing them with their original texts in legal, literary and historical works, and classifying them into three main contexts: First, religious references (quoting verses, stories, legislative, jurisprudential and devotional hadiths), Secondly, cultural references (news, narrative, and wisdom prose, and poetry with themes of praise, satire, and sarcasm). Thirdly, historical and social references (facts and customs).

The results demonstrated Ibn al-Jawzi’s mastery of controlling his sources according to doctrinal and rhetorical controls. He employed Quranic quotations to provide religious guidance, and used jurisprudential hadiths to impose an ethical framework, while proverbs and stories sought to establish the sermon in a light-hearted spirit.

Poetry was invoked to enrich the rhythmic structure and diversify the themes, while reference to famines, wars, and social customs linked the text to the reader's reality. Thus, cognitive integration became a way to combine educational objectives with aesthetic pleasure.

This study also confirms that the value of “Akhbar al-Zaraf” is not based on anecdotes alone, but rather on a methodology that integrates multiple references that serve both advocacy and literature, opening horizons for a new methodology in analyzing the literature of licentiousness and enhancing our understanding of the dynamics of Islamic discourse in the Abbasid era.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Al-Qadisiyah - College of Arts
Department of Arabic Language



Cultural References in a Book
(Akhbar Al-Dhiraf Wa-almutamajinin)

Ibn Al - Jawzi
{ DEAD 597 AH }

By

Duaa Fadhil Miri

Submitted of Council of the College of Arts

University of Al-Qadisiyah

**In partial for fulfilment of the Requirement for degree of
master of Art in Arabic language and literature**

Supervised by

Professor

Dr. Salah Hassoun Jabbar

1447 AH

2025 AD